مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(وبعد ،،)

فقد تبوأ المجاز منزلة رفيعة في البيان العربي ، وأولاه البلاغيون عناية فائقة، فشغل حيزا رحبا في فكرهم ، وكتبهم ، وقد جعلوه شطرين متقابلين، شطرا في الإثبات، وهو المجاز العقلي، وشطرا في المثبت ، وهو المجاز اللغوي، وقسموا شطره اللغوي قسمين استعارة ، ومجازا مرسلا ، وكانت العلاقة بين المعني الحقيقي ، والمعنى المجازي هي مناط التمايز بينهما؛ فإذا كانت هذه العلاقة هي المشابهة، كان استعارة ، وإذا كانت الملابسة والاتصال ، كان مجازا مرسلا ، ومما قاله الشيخ عبد القاهر الجرجاني في هذا الصدد " أن الاسم المستعار يتناول المستعار له؛ ليدل على مشاركته المستعار منه في صفة هي أخص الصفات التي من أجلها وضع الاسم الأول أعني أن الشجاعة أقوى المعاني التي من أجلها سمي الأسد أسدا، وأنت تستعير الاسم للشئ على معنى إثباتها على حدها في الأسد، فأما اليد ونقلها إلى النعمة، فليست من هذا في شئ؛ لأنها لم تتناول النعمة؛ لتدل على صفة من أوصاف اليد بحال..."(١).

---

(١) أسرار البلاغة ، تعليق محمد رشيد رضا /٣٢٤ مكتبة القاهرة ١٣٧٩هـ .

وسيتناول هذا العمل - إن شاء الله تعالى- المجاز المرسل، وعلاقاته من خلال الأمثلة، والشواهد التى تطرق إليها (ابن منظور) في (لسان العرب) ويحتكم فيما ذكره إلى ما استقر فى عرف البيا .

وقد .انى الله سبحانه وتعالى إلى اختيار هذا الموضوع، ويسر لى قراءة (لسان العرب) واستخراج المادة العلمية منه لهذا الموضوع، وغيره (١).

وقد كان الهدف من الاتجاه صوب (لسان العرب) وارتياد آفاقه الفسيحة هو إثراء الدرس البلاغي بأنماط جديدة، وصور طريفة ليست متداولة فى كتب البلاغة المعهودة.

وقد جعلت هذا العمل فى تمهيد ، وخمسة فصول ، عرفت فى التمهيد علي عجل (بابن منظور) ومعجمه الكبير (لسان العرب).

وتناولت فى الفصل الأول تطور حقيقة المجاز المرسل عند بعض كبار البيانيين، بدءا من أبى عبيدة معمر بن المثنى ، وانتهاء بالخطيب القزوينى. وتعرضت فى الفصل الثانى لعلاقات المجاز المرسل التى ظفرت بها فى (لسان العرب) من خلال الشواهد التى ساقها من آى القرآن المجيد، والحديث النبوى الشريف، وشعر العرب ونثرهم.

---

(١) سبق هذا العمل بمقال (رؤى جديدة فى الاستعارة غير المفيدة) الذى نشر فى حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية ، العدد الرابع عشر ١٩٩٤م وقد اعتمدت فيه أيضا على المادة العلمية المستخرجة من (لسان العرب).

وعرضت في الفصل الثالث لما سمي بالمجاز عن المجاز، وذكرت أمثلة أوردها (ابن منظور) يمكن أن تعتبر من هذا النوع من المجاز ، وإن كانت قليلة.

وتناولت في الفصل الرابع إمكانية إطلاق مصطلح الاستعارة ، والمجاز المرسل على لفظ واحد باعتبار العلاقة المقصودة فيهما.

وفي الفصل الخامس والأخير بينت أن اللفظ الواحد يمكن أن يكون مجازا مرسلا، وكناية باعتبارين ، وذلك إذا اختلفت الحيثية المعتبرة فيهما.

والله نسأل أن يمدنا بعونه ، وتوفيقه،،

﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾

دكتور

أحمد هنداوي عبدالغفار هلال

طنطا في : ١٥ من جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ

٢٠ من أكتوبر ١٩٩٤م

تمهيد

أود أن ألقى فى هذا التمهيد الضوء فى عجالة على شخصية (ابن منظور) ومنزلته العلمية ، وعلى معجمه الكبير (لسان العرب) لأن اسم كل منهما يتصدر وجه هذا العمل ، ويمثل جانبا من عنوانه ، وأيضا فإن مادته العلمية قائمة ومبنية علي ماذكره فى هذا المعجم المنقطع النظير.

اسمه ونسبه :

هو محمد بن مكرّم بتشديد الراء ابن على بن أحمد بن أبى القاسم بن حبقة بن منظور الأنصارى[1]، وقد اشتهر باسم (منظور) أحد أجداده الأعلون.

وقد صرح بنسبه فى بعض المواضع من (لسانه) فقال " ..فأما جربة بالهاء ، فقرية بالمغرب لها ذكر فى حديث رويفع بن ثابت - رضى الله عنه - قال عبد الله بن مكرم رويفع بن ثابت هذا هو جدنا الأعلى من الأنصار، كما رأيته بخط جدى نجيب الدين والد المكرم، أبى الحسن على بن أحمد بن القاسم بن حبقة بن محمد بن منظور بن معافى .."[2].

---

(١) معجم المؤلفين ، تأليف عمر كحالة ١٢ /٤٦ مكتبة المثنى - لبنان .

(٢) لسان العرب ٥٨٤/١ (جرب) ط دار المعارف - القاهرة .

مولده ووفاته :

ولد في شهر المحرم سنة ٦٣٠هـ [١] بمصر وقيل في طرابلس الغرب [٢].

وقد خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ، وولي القضاء في طرابلس الغرب، ثم عاد إلى مصر وتوفي بها في شعبان ٧١١هـ [٣].

منزلته العلمية :

يتسنم (ابن منظور) مكانة علمية سامية سامقة، لايصل إليها إلا الأفذاذ القلائل الذين آتاهم الله بسطة في العلم، وغزارة في الذكاء والفهم ، وقد وصفه أولو الفضل من العلماء بنبيل السجايا، وعظيم الصفات ، فهو (الإمام الحجة اللغوي) [٤] الفاضل في الأدب، المليح في الإنشاء ، المتفرد في العوالي ، العارف بالنحو ، واللغة ، والتاريخ ، والكتابة [٥].

---

(١) بغية الوعاة، للسيوطي ٢٤٨/١ تحقيق محمد أبو الفضل ، بيروت ، لبنان .

(٢) الأعلام ، لخير الدين الزركلي ١٠٨/٧ دار العلم للملايين ، بيروت ط رابعة ١٩٧٩م.

(٣) ينتظر بغية الوعاة ، للسيوطي ٢٤٨/١.

وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ٢٦/٦ دار إحياء التراث ، بيروت والأعلام ١٠٨/٧.

(٤) الأعلام ٧ / ١٠٨.

(٥) ينظر بغية الوعاة ، للسيوطي ٢٤٨/١.

وهو " علم الهداية الباذخ، وطود الدراية الشامخ، الناضل الذى مارمى إلا أصاب فؤاد الغرض، والطبيب الذى أزال عن عيون المشكلات كل غشاوة ، وعن قلوبها كل مرض ، ذو التصانيف الفائقة العديدة ، والتآليف الرائعة المفيدة ، واللطائف الجمة، والطرائف المهمة شيخ الشيوخ، راسخ القدم في كل فن أعظم رسوخ ، الحافظ المتقن، المتفنن ، المتحدث ، المتفرد بالعوالي، المتمكن الإمام جمال الدين محمد بن الشيخ الإمام جلال الدين أبى العز مكرم .. الشهير بابن منظور.." (١) ويكفيه فخرا ورفعة فى ساحة العلم أنه " ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد " (٢).

مكانة (لسان العرب) :

أثني كثير من العلماء على معجم (لسان العرب) وأنزلوه منزلته اللائقة به ، منهم أحمد فارس الشدياق الذى قال فى تقريظ (اللسان)" .. أقرر أن أعظم كتاب ألف فى مفرداتها - أى مفردات اللغة العربية- كتاب (لسان العرب) للإمام المتقن جمال الدين محمد ابن جلال الدين الأنصارى... فهو يغنى عن سائر كتب اللغة، إذ هى بجملتها لم تبلغ منها مابلغه .."(٣).

---

(١) من كلمة مصحح العلوم فى ختام لسان العرب محمد الحسينى ط بولاق ٢٠/٣٨٧.

(٢) الأعلام ٧ /١٠٨.

(٣) مقدمة الطبعة الأولى من لسان العرب ط بولاق ١/٢-٣.

وهذه شهادة ممن قرأ (لسان العرب) وسبر غوره ، وعرف قدره فهو مشحون بعلوم اللغة العربية بحيث يمكن الاستغناء به عما عداه من كتبها المتنوعة؛ لأنه بلغ شأوا لم تبلغه هذه الكتب ، وماذاك إلا لأنه "... البحر المحيط باللغة العربية تستخرج من لجه اللآلئ الأدبية، لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولم يدع شاردة ولاواردة من غريب اللغة ، والحديث والآى إلا قيدها وأبداها..." (١).

وقد ذكر (ابن منظور) نفسه أنه جمع فى كتابه خمسة كتب هى الصحاح للجوهرى ، وحاشية ابن برى عليه، والتهذيب للأزهرى، والمحكم لابن سيده ، والنهاية لابن الأثير (٢).

ثم قال "وليس لى فى هذا الكتاب فضيلة أمت بها ، ولا وسيلة أتمسك بسببها سوى أنى جمعت فيه ما تفرق فى تلك الكتب من العلوم ... فليعتد من ينقل عن كتابى هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة .." (٣).

ويبدو أن هذا الذى قاله هو من قبيل تواضع العلماء الجم، وعدم مباهاتهم بأعمالهم الجليلة، وهضمهم أنفسهم ، فقد أثبتت الدراسة المتأنية أن معجمه كان عملا جديدا ، وليس مجرد جمع لمجموعة كتب فى كتاب واحد ، وكانت له شخصيته البارزة فى طول هذا المعجم ، وعرضه، ولا أدل على ذلك من أنه كان ينقد من يأخذ عنهم فى منهجهم ، وفى مادتهم اللغوية (٤).

---

(١) من كلمة مصحح العلوم محمد الحسينى فى ختام ط بولاق ٣٨٧/٢٠.

(٢) ينظر مقدمة لسان العرب /١١-١٢ ط دار المعارف .

(٣) نفسه / ١٢.

(٤) ينظر ابن منظور اللغوى منهجه وأثره فى الدراسات اللغوية ، للدكتور محمد متولى منصور /٣٥٣ -٤٣٦ رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

الفصل الأول

تطور حقيقة المجاز المرسل

١- المجاز المرسل عند أبى عبيدة.

٢- المجاز المرسل عند ابن قتيبة.

٣- المجاز المرسل عند أبى هلال العسكرى.

٤- المجاز المرسل عند القاضى عبد الجبار .

٥- المجاز المرسل عند الشيخ عبد القاهر الجرجانى .

٦- المجاز المرسل عند الزمخشرى .

٧- المجاز المرسل عند الإمام فخر الدين الرازى .

٨- المجاز المرسل عند أبى يعقوب السكاكى.

٩- المجاز المرسل عند الخطيب القزوينى .

الفصل الأول
تطور حقيقة المجاز المرسل

حاولت في هذا الفصل أن ألقى بعض الضوء على ما عرف - بعد - بالمجاز المرسل من خلال كلام بعض كبار البيانيين- علي قدر جهدى - ولم يكن الهدف هو الاستقصاء ، وحصر الكلام فيه على هؤلاء الأعلام دون سواهم ، ولكنها نظرات تبدت أمامى ، أو أفدتها من كتابات بعض الباحثين حول هذا المجاز ، فأردت أن أسجلها لعلها تكون مفيدة نافعة.

المجاز المرسل عند أبى عبيدة ت ٢٠٩هـ :

يعتبر أبو عبيدة معمر بن المثنى أقدم من عثرت عنده من البلاغيين علي لمحات دالة، وإشارات عابرة إلى حقيقة المجاز المرسل، فقد أومأ فى كتابه (مجاز القرآن) إلى حقيقة هذا المجاز، فذكر عند قوله تعالى حكاية عن الملائكة " ... ونحن نسبح بحمدك .." (١) أن معنى (نسبح) " نصلي تقول قد فرغت من سبحتى أى صلاتى " (٢) . وهذه إشارة إلى علاقة الجزئية حيث أطلق التسبيح وهو جزء من

---

(١) البقرة / ٣٠ .

(٢) مجاز القرآن ٣٦/١ تعليق دكتور محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجى - القاهرة .

الصلاة على الصلاة بجميع أجزائها ، ومنه قوله تعالى " فلولا أنه كان من المسبحين "(١) أى المصلين(٢).

ومن المواضع التى لوح فيها أبو عبيدة إلي حقيقة هذا المجاز ماذكره عند قوله تعالى " وأرسلنا السماء عليهم مدرارا" (٣).

فقد قال " مجاز السماء ههنا مجاز المطر يقال مازلنا فى سماء أى مطر ، ومازلنا نطأ السماء أى أثر المطر، وأنى أخذتكم هذه السماء؟"(٤) فإطلاق السماء علي المطر مجاز مرسل علاقته المجاورة(٥).

والمعول عليه فى كلامه المذكور أنه فسر السماء بالمطر، أما اعتباره ذلك مجازا ، فليس قطعى الدلالة؛ لأنه لم يقصد من كلمة المجاز مايقابل الحقيقة، وإنما كان يريد بها تفسير الكلمة، وتوضيح معناها، سواء كانت هذه الكلمة مستعملة في معناها المجازى ،أو الحقيقى ، وقد صرح بذلك محقق كتابه (مجاز القرآن) (٦)

---

(١) الصافات /١٤٣.

(٢) ينظر تفسير القرطبى /٢٣٦ ط الشعب .

(٣) الأنعام /٦.

(٤) مجاز القرآن ١٨٦/١.

(٥) ينظر بغية الإيضاح ٩٤/٣.

(٦) مجاز القرآن ١٩/١.

وقد ألمع إلى هذا المجاز أيضا عند قوله تعالى " .. فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم..." [(١)] فقال : " مجازه إنا تركناكم ولم ننظر إليكم، والله عز وجل لاينسى فيذهب الشئ من ذكره" [(٢)].

فالنسيان فى الآية ليس مستعملا فى حقيقته ؛ لأن الأشياء لاتذهب من ذكره، ولاتتملص من علمه، وعلى ذلك يكون إطلاق النسيان علي الترك مجازا مرسلا، علاقته الملزومية " لأن المنسى يكون متروكا، فلما كان الترك من لوازم النسيان، أطلقوا اسم الملزوم على اللازم" [(٣)].

وأشار كذلك إلى علاقة (الآلية) عند قوله تعالى " واجعل لى لسان صدق فى الآخرين" [(٤)] فقال فى معنى (لسان صدق) " أى ثناء حسنا فى الآخرين" [(٥)] فصرف كلمة (لسان..) عن معناها الحقيقى إلى الثناء الحسن ، ومعلوم أن اللسان آلة الكلام، والثناء ، فيكون مجازا مرسلا علاقته الآلية.

---

(١) السجدة /١٤.

(٢) مجاز القرآن ١٣٢/٢.

(٣) التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازى ٢٤٥/١/٢ - دار الفكر - بيروت ط ثالثة ١٤٠٥هـ .

(٤) الشعراء / ٨٤ .

(٥) مجاز القرآن ١٣٢/٢.

وألمع أبو عبيدة إلى المجاز المرسل أيضا عند قوله تعالى "فليدع ناديه" [١] فقد فسر (ناديه) بأهل مجلسه [٢].

فأطلق المحل على الحال فيه، وتلك علاقة المحلية . وهكذا نجد أبا عبيدة - رحمه الله- قد أشار إلي علاقات خمس من علاقات ماعرف بعد باسم المجاز المرسل ، وهى الجزئية، والمجاورة، والملزومية ، والآلية ، والمحلية.

وربما يكون قد أومأ إلى علاقات غيرها لم أهتد إليها ، أو أوفق فى العثور عليها.

المجاز المرسل عند ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ :

كان عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى إماما من أئمة اللغة والأدب ، وقد بسط القول في المجاز ، وشعب القول فيه، وأكد على وجود المجاز فى اللغة العربية ، وفى النظم القرآنى الجليل ، ويبدو مماكتبه حول المجاز أنه توسع فى استعمال كلمة المجاز كما توسع فيها أبو عبيدة من قبله، فكان يطلق مصطلح الاستعارة علي ماعرف بالمجاز المرسل، وقد بدت من خلال بيانه ، وشرحه لحقيقة هذا المجاز عدة علاقات، فقد جاء فى بعض المواضع من كتابه (تأويل مشكل القرآن)أنهم – أى العرب – " يستعيرون الكلمة فيضعونها مكان الكلمة لتقارب مابينهما ، أو أن إحداهما سبب للأخرى، فيقولون

---

(١) العلق / ١٧ .

(٢) مجاز القرآن ٢/٣٠٤.

للمطر سماء ؛ لأنه من السماء ينزل ، ويقولون للبنات ندى ؛ لأنه بالندى ينبت، ويقولون مابه طرق أى مابه قوة، وأصل الطرق الشحم، فيستعيرونه مكان القوة ؛ لأن القوة تكون عنه" (١).

فكلامه المذكور آنفا يومئ إلي علاقتين : **أولاهما**: المجاورة ، وذلك ظاهر من قوله (فيقولون للمطر سماء؛ لأنه من السماء ينزل). وقد عرض لحقيقة هذه العلاقة فى موضع آخر من كتابه عندما تناول قوله تعالى " وثيابك فطهر" (٢) وجعل (ثيابك) استعارة عن النفس، لأن الثياب تجاور جسم الإنسان ، وجعلها مناظرة (لأثواب) فى قول ليلى الأخيلية وقد ذكرت إبلا:

رموها بأثواب خفاف فلا ترى – لها شبها إلا النعام المنفرا

" أى ركبوها فرموها بأنفسهم" (٣).

وكون الثياب مجاورة للأبدان ، أو مشتملة عليها ينبئ أن هذا مجاز مرسل علاقته المجاورة ، أو المحلية.

ثانيتهما : السببية وذلك واضح من قوله (ويقولون للبنات ندى ، لأنه بالندى ينبت) فإطلاق الندى وهو الغيث والمطر(٤).

---

(١) تأويل مشكل القرآن /٣٠٢ نشره وشرحه السيد أحمد صقر ط ثانية ١٩٧٣م ، دار التراث القاهرة.

(٢) المدثر / ٤.

(٣) تأويل مشكل القرآن / ١٤٢.

(٤) ينظر لسان العرب ٦/ ٤٣٨٧ (ندى).

مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن المطر سبب في النبات، وغني عن البيان أن دخول باء السببية على (الندى) يعتبر شاهد صدق على أن إطلاقه على النبات مجاز مرسل علاقته السببية.

ومن قبيل هذه العلاقة أيضا ماذكره من إطلاق الطرق ، وهو الشحم على القوة في قولهم مابه طرق أي قوة حيث أطلق السبب علي المسبب .

وقد ألمح في ثنايا أمثلته التي ساقها إلى علاقة المسببية، فقال " .. ومنه الذكر يوضع موضع الشرف؛ لأن الشريف يذكر قال الله تعالى" وإنه لذكر لك ولقومك" (١) يريد أن القرآن شرف لكم ، وقال تعالى (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم) (٢) ، أي شرفكم ، وقال (بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) (٣) أي أتيناهم بشرفهم" (٤).

فقوله في صدر كلامه المتقدم (.. لأن الشريف يذكر) يشير إشارة واضحة إلى أن الذكر مسبب عن الشرف، فيكون إطلاق الذكر عليه مجازا مرسلا علاقته المسببية.

وأشار ضمن أمثلته التي ذكر أنها استعارة إلى علاقة الآلية فقال: " ومن الاستعارة اللسان يوضع موضع القول ؛ لأن القول يكون

---

(١) الزخرف / ٤٤.

(٢) الأنبياء / ١٠.

(٣) المؤمنون / ٧١.

(٤) تأويل مشكل القرآن / ١٤٧.

بها ، قال الله عز وجل (واجعل لي لسان صدق في الآخرين)[١] أي ذكر احسنا .." [٢] وقد أصبح واضحا من تتبع كلامه الذى يلوح إلى المسببية، والآلية أن إطلاق اللسان على القول يباين إطلاق الذكر على الشرف، فهذا من المسببية، وذاك من الآلية، وشتان مابينهما ، ولذلك فإننى لا أتفق مع الدكتور كامل الخولى- رحمه الله – فى اعتباره العلاقة فى الموضعين هى الآلية، فقد قال بعد أن أورد بعض كلامه حول العلاقتين كليهما : " وتتضح علاقة الآلية فيما ذكر"[٣].

ولعل ابن قتيبة كان يعتبر حقيقة ماعرف بعد بالمجاز المرسل من الاستعارة؛ لأن المصطلحات البلاغية في عصره لم تكن قد تحددت مدلولاتها تحديدا دقيقا ، أو يكون قد حذا حذو بعض العلماء الذين يجعلون المجاز كله استعارة، لأن اللفظ استعير من مستحقه الذي وضع له أولا ، ونقل إلي ماتجوز به عنه؛ ولهذا سموه مجازا [٤].

المجاز المرسل عند أبى هلال العسكرى ت ٣٩٥هـ :

بقيت صورة المجاز المرسل عند (أبى هلال) غير محددة المعالم، ولا واضحة الملامح ، والقسمات ، فقد جعله داخلا في

---

(١) الشعراء /٨٤.

(٢) تأويل مشكل القرآن /١٤٦.

(٣) صور من تطور البيان العربى ، للدكتور كامل الخولى /١٤١.
ط أولى ١٩٦٢م دار الأنوار للطباعة والنشر .

(٤) ينظر الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز ، للعز بن عبد السلام /٢٩-٣٠.

الاستعارة، ومشتملا بردائها الفضفاض ، وهو بذلك لم يضف جديدا إلي تحديد هذا المجاز، والكشف عن ماهيته، وحقيقته وقد ظهر ذلك جليا عندما عقد فصلا في (الاستعارة والمجاز) اعتبر فيه بعض أمثلة المجاز المرسل من قبيل الاستعارة [١] فقال:

" ويقولون - أي العرب - للمطر سماء قال الشاعر :

إذا نزل السمـــاء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابـا

ويقولون ضحكت الأرض إذا أنبتت .." [٢]

وإطلاق السماء على المطر مجاز مرسل علاقته المجاورة - وقد سبقت الاشارة إلى ذلك.

وقد ذكر بيت امرئ القيس :

فبات عليه سرجه ولجامه وبات بعيني قائما غير مرسل

ثم قال بعقبه " أي كنت أراه وأحفظه، وعلى هذا مجاز قوله عز وجل (تجري بأعيننا) [٣].

واضح أن إطلاق العين علي الحفظ مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن العين من أسباب الحفظ [٤].

---

(١) ينظر الصناعتين من ٢٩٥ - ٣٣٨ .
دار الكتب العلمية - بيروت ط أولى١٩٨١م.

(٢) نفسه / ٣٠٤ .

(٣) القمر / ١٤ وينظر الصناعتين / ٣١١.

(٤) ينظر صور من تطور البيان العربي ، للدكتور كامل الخولي /١٦١ .

ويبدو أنه ناقل عن سالفه (ابن قتيبة) ومتأثر به ، يدل على ذلك " اتفاق كثير من الأمثلة عندهما" (١).

المجاز المرسل عند القاضي عبد الجبار ت ٤١٥هـ :

أشار القاضي عبد الجبار إلي طائفة من علاقات المجاز المرسل(٢) مثل ١- السببية ٢- المسببة ٣- الجزئية ٤- اعتبار ماكان ٥- اعتبار مايئول إليه ٦- الحالية ٧- الآلية .

ولم يصرح باسم هذا المجاز أسوة بمن سبقوه، ولكن شرحه لتلك العلاقات، وإلقاء الضوء عليها يحدد مدلول ذلك المجاز ، ويبين حقيقته وقد يكون من المفيد أن أذكر بعض أمثلة لم تذكر من قبل في هذا العمل تمثل موقفه من حقيقة ذلك المجاز، دون بسط أو تطويل.

١- المسببية : تناول القاضي هذه العلاقة في عدة مواضع منها ماذكره عند قوله تعالى " ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون" (٣) فقد قال " وربما قيل في قوله تعالى (ولقد كنتم..) كيف يصح أن يلقى الموت وهو ينظر؟ وجوابنا

---

(١) ينظر تأويل مشكل القرآن / ١٣٥ - ١٣٦.

والصناعتين ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٢) ينظر بلاغة القرآن في اثار القاضي عبد الجبار ، للدكتور عبد الفتاح لاشين من ٣١٥ إلى ٣٣٢.

(٣) آل عمران / ١٤٣.

أن المراد رؤية أسباب الموت ومقدماته، دون نفس الموت؛ لأن الميت لايتمكن من أن يكيف الموت ويراه ، وهو كقوله تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت) [١] والمراد به المرض الذى يخاف منه الموت" [٢].

واضح من بيانه، وإيضاحه أن الموت استعمل فى غير حقيقته، وأطلق مجازا علي مقدماته وأسبابه، لأن الذى تفيض روحه لايتأتى منه وصية[٣] أو أى عمل آخر .

وقد تناول هذه العلاقة أيضا عند قوله تعالى " واتقوا النار التى أعدت للكافرين" [٤] فقال بعد أن ذكر الآية " كيف يصح أن يصفها بأنها أعدت للكافرين؟ ... وجوابنا أن المراد بقوله (واتقوا النار) اتقاء المعاصى التى توجب استحقاق عذاب النار، وذلك ظاهر إذا قيل للمرء اتق ربك ، واتق السلطان أن المراد اتقاء مايؤدى إلى تأديبهم" [٥]. فجعل (النار) فى الآية مجازا عن المعاصى، والآثام التى توجب عذاب النار وعلى ذلك تكون مجازا مرسلا علاقته المسببية حيث ذكر المسبب ، و أريد به السبب.

---

(١) البقرة / ١٨٠.

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضى عبدالجبار / ٨٠ دار النهضة الحديثة . بيروت - لبنان .

(٣) لأن بقية الآية السابقة (إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين).

(٤) آل عمران / ١٣١.

(٥) تنزيه القرآن عن المطاعن / ٧٨.

٢- الجزئية : ألمح القاضى عبد الجبار إلى هذه العلاقة فى مواطن كثيرة منها ماذكره عند قوله تعالى " فأقم وجهك للدين القيم "(١).

فقد بين أن المقصود من (وجهك) ذاتك كلها فقال(٢) والمراد بالوجه نفس الإنسان، فكأنه قال فأقم نفسك للدين القيم حتى لاتحول عنه ، ولاتزول، فلا تأمن فى كل وقت من الاخترام، فإذا ثبت على الاستقامة كنت من الفائزين" (٢) فاعتبر الوجه ، وهو جزء من الانسان مجازا عن ذات الإنسان كلها ، وهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية.

٣-اعتبار مايئول إليه:

ألمح القاضى إلى هذه العلاقة فى عدة أماكن منها ماذكره عند قوله تعالى " إنى سقيم" (٣) فقد قال " وربما قيل فى قوله تعالى (إنى سقيم) كيف يصح على الأنبياء الكذب؟ وجوابنا أنه يريد سأسقم كقوله تعالى (إنك ميت) (٤) أى ستموت ، وكقوله (إنى أرانى أعصر خمرا) (٥) فإطلاق السقيم علي السليم ، والميت على

---

(١) الروم / ٤٣.

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن / ٣٢١.

(٣) الصافات / ٨٩.

(٤) الزمر / ٣١.

(٥) يوسف / ٣٦.

الحي ، والخمر على العنب يعتبر مجازا لأنه استعمال لهذه الألفاظ في غير ماوضعت له؛ لأن الصحيح سيئول أمره في المستقبل إلى السقم، والحي سوف يموت لا محالة ، والعنب سيتحول إلى خمر بعد عصره.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الدكتور عبد الفتاح لاشين ذكر في خاتمة مبحث المجاز المرسل عند القاضي عبد الجبار [١] أن أحد كبار الباحثين قال إن الزمخشري أضاف إلى المجاز المرسل علاقات : تسمية الشئ باسم جزئه، واعتبار مايئول إليه ، والمسببية[٢].

وقد عقب الدكتور لاشين على هذا القول بأنه غير دقيق؛ لأنه ألفى هذه العلاقات عند القاضي عبد الجبار، وهو أسبق زمنا من الزمخشري بقرن ونصف تقريبا [٣].

ويبدو لي أن القطع في مثل هذه المسائل التاريخية، دون أدلة حاسمة يعتبر ضربا من الحدس يأباه التحقيق العلمي السليم، وليس أدل على ذلك من أنني وجدت إشارة إلي علاقة الجزئية عند أبي عبيدة معمر بن المثنى عندما فسر التسبيح بالصلاة في قوله تعالى (ونحن نسبح بحمدك) [٤] وقد ذكرت ذلك في مطلع الحديث عن

---

(١) . بلاغه القرآن في آثار القاضي عبد الجبار /٣٣٢.

(٢) نفسه /٣٣٢ وينظر البلاغة تطور وتاريخ ، للدكتور شوقي ضيف / ٢٦٣.

(٣) ينظر بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار / ٣٣٢.

(٤) البقرة / ٣٠ .

المجاز المرسل عنده، ومعلوم أنه أسبق من القاضى ، والزمخشرى بزمن سحيق.

المجاز المرسل عند الشيخ عبد القاهر الجرجانى ت ٤٧١هـ :

لم يعقد الشيخ عبد القاهر فصلا معينا يبسط فيه القول فى المجاز المرسل، وإنما لمس بعض الأمور التى تتعلق به عرضا ، وهو يفرق بين حقيقته، وحقيقة الاستعارة، وقد ذكر أن غرضه فى هذا الفصل الذى تطرق فيه إلى نبذ يسير من قضايا المجاز المرسل أن يبين " أن المجاز أعم من الاستعارة ، وأن الصحيح من القضية فى ذلك أن كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة" [١].

ولو أنه أفرد هذا المجاز ببحث مستقل ، أو أولاه مزيدا من بيانه، واهتمامه، لظفر الدرس البلاغى منه بخير كثير، وعلم غزير .

وقد وجد الشيخ عبد القاهر بعض من سبقوه يتوسعون فى إطلاق الاستعارة على مايعتبر مجازا مرسلا ، فاعتبر ذلك منهم تساهلا فى تحرير المسائل، وتقصيرا فى النظر، وضعفا فى الرأى[٢].

فقد صرح بأن أبا بكر بن دريد ابتدأ فى كتاب الجمهرة بابا فقال (باب الاستعارات) ثم ذكر فيه ألفاظا تعتبر من قبيل المجاز المرسل مثل إطلاق الظعينة، وأصلها المرأة فى الهودج على البعير، والهودج، وإطلاق الراوية وهى اسم للبعير على المزادة، وغير ذلك[٣].

---

(١) أسرار البلاغة / ٣١٩.

(٢) ينظر المرجع نفسه /٣٢٢.

(٣) نفسه / ٣٢٠ - ٣٢١.

وأن الآمدي عد كلمة (المجلس) فى قول المهلهل :

... واستب بعدك ياكليب المجلس

استعارة[١] " .. فأطلق لفظ الاستعارة على وقوع المجلس هنا بمعنى القوم الذين يجتمعون فى الأمور ، وليس المجلس إذا وقع على القوم من طريق التشبيه، بل على وجه وقوع الشئ على مايتصل به، وتكثر ملابسته إياه، وأى شئ يكون بين القوم ومكانهم الذى يجتمعون فيه؟ إلا أنه لايعتد بمثل هذا ، فإن ذلك قد يتفق حيث ترسل العبارة" [٢] ولايخفى أن الملابسة بين المجلس ، والقوم الذين يجلسون فيه هى المحلية.

وقد أوضح أن إطلاق لفظ الاستعارة عليهما معا منظور فيه إلى جانب النقل وحده، دون اكتراث بنوع العلاقة بين المنقول منه ، والمنقول إليه ، وفى هذا مجافاة لعرف البيانيين فى تمييزهم بين حقيقة المجاز المرسل، وحقيقة الاستعارة ، وذلك شبيه بمن يترك عرف النحويين فى تفريقهم بين الحال، والتمييز ، فيسمي الحال تميزا على اعتبار أنها تميز المقصود من الكلام ، وتبينه[٣] .

---

(١) ينظر الموازنة ، للأمدى ٣٩٣/١ تحقيق السيد أحمد صقر دار المعارف ، ط رابعة .

(٢) أسرار البلاغة ٣٢٣.

(٣) ينظر أسرار البلاغة / ٣٢١.

ولذلك نبذ الشيخ عبد القاهر هذه النظرة، ولم يرضها ، وضرب بها عرض الحائط فقال : ".. وليس هذا بالمذهب المرضي، بل الصواب أن تقصر الاستعارة على مانقله نقل التشبيه للمبالغة؛ لأن هذا يطرد على حد واحد ، وله فوائد عظيمة، ونتائج شريفة.." (١)

وفي هذا دلالة واضحة على أن إطلاق لفظ الاستعارة على مايعد مجازا مرسلا خطأ بحت، وخطل صراح ، وإن لحظت أنه خفف هذا الحكم بعد ذلك بقليل عندما ذكر أن إطلاق الاستعارة على مايعد مجازا مرسلا بعيد (٢) ولعله يقصد أنه بعيد من الصواب حتي يتساوق كلامه، وتأتلف عباراته. فالاستعارة قائمة على أساس الشبه بين المستعار له، والمستعار منه ، فهي تعتمد التشبيه أبدا (٣) والنقل فيها يطرد على حد واحد، وعلاقة واحدة ، أساسها التشبيه ، وقوامها الصفة المشتركة بين طرفيها ، والمجاز المرسل مبني على الملابسة والارتباط بين المنقول منه ، والمنقول إليه، فليس مطردا على وتيرة واحدة، ونمط معين ، ونظام واحد ، بل تتعدد علاقاته، وتتنوع صنوفها ، وأشكالها على حسب الاتصال ، والملابسة بين المعنى المنقول منه، والمنقول إليه.

وقد أنبأت الأمثلة التي ساقها في بعض المواضع عن طائفة من علاقات المجاز المرسل، وأظهرت اختلافها ، وتنوعها " .. نحو

---

(١) نفسه / ٣٢٢.

(٢) نفسه / ٣٢٥.

(٣) نفسه / ٣٧.

تسميتهم المزادة راوية ، وهى اسم للبعير الذى يحملها فى الأصل ، وكتسميتهم البعير حفضا ، وهو اسم لمتاع البيت الذى يحمل عليه ، ولا كنحو مابين الجزء من الشخص ، وبين جملة الشخص ، كتسميتهم الرجل عينا إذا كان ربيئة، والناقة نابا ، ولا كما بين النبت ، والغيث، وبين السماء والمطر حيث قالوا رعينا الغيث يريدون النبت الذى الغيث سبب فى كونه، وقالوا أصابنا السماء يريدون المطر.."[1] واضح من خلال الأمثلة التى تقدمت أن علاقات المجاز المرسل فيها ليست واحدة، فإطلاق الراوية على المزادة، ، وإطلاق اسم الحفض على البعير الذى يحمله من قبيل المجاورة، وإطلاق العين على الربيئة الذى ينظر للقوم ، ويرعى أمورهم ، ويحرسهم[2] من علاقة الجزئية، وإطلاق الغيث على النبات يعتبر من علاقة السببية، كما ينبئ كلام الشيخ نفسه، لأن الغيث سبب فى النبات.

وسأتطرق - إن شاء الله - إلى كثير من هذه الأمثلة عند الحديث عن علاقات المجاز المرسل فى لسان العرب.

وقد نبه إلى أن علاقات المجاز المرسل ليست علي شاكلة واحدة، فى قوة ترابطها ومتانة الأواصر بينها ؛ لأن الأسباب التى تصل بين المعني الأصلى، والمعني المجازى قد تكون قوية أو ضعيفة، وقد تكون شديدة الظهور ، أو بينة الخفاء.

---

(١) نفسه / ٣١٨.

(٢) ينظر لسان العرب ٢/١٥٤٥.

فقد قال عقب كلامه حول بعض هذه العلاقات، وقد نقلته منذ قليل: " .. واعلم أن هذه الأسباب الكائنة بين المنقول، والمنقول عنه تختلف في القوة ، والضعف ، والظهور ، وخلافه، فهذه الأسماء التى ذكرتها إذا نظرت إلى المعانى التى وصلت بين ما هى له ، وبين ماوردت إليه ، وجدتها أقوى من نحو ماتراه فى تسميتهم الشاة التى تذبح عن الصبى إذا حلقت عقيقته عقيقة ، وتجد حالها بعد أقوى من حال العقيرة فى وقوعها للصوت فى قولهم رفع عقيرته، وذلك أنه شئ جرى اتفاقا ، ولامعنى يصل بين الصوت ، وبين الرجل المعقورة.."[1] واضح من كلامه أنه يريد أن يقرر أن العلاقة بين الغيث والنبات ، وهى علاقة السببية أقوى من العلاقة بين العقيقة التى هى شعر المولود ، وبين الشاة التى تذبح عند حلق هذا الشعر، وهي فيما يتراءى لى السببية أيضا إلا أن الارتباط بينهما أوهن من الارتباط بين الغيث والنبات، وكذلك العلاقة بين المزادة، والراوية ، والبعير ، والحفض ، وهى علاقة المجاورة أقوى من العلاقة بين الرجل المعقورة، والصوت ، ويبدو أنها المجاورة إلا أن هذه العلاقة فى غاية الضعف والوهى، لأنه لاصلة بين الرجل المعقورة ، ورفع الصوت، ولذلك عقب الشيخ علي هذا المجاز بقوله " إنه شئ جرى اتفاقا ، ولامعنى يصل بين الصوت، وبين الرجل المعقورة"[2].

---

(١) أسرار البلاغة / ٣١٨.

(٢) أسرار البلاغة / ٣١٨.

وقد يحسن هنا أن ألقى مزيدا من الضوء على المناسبة التى كانت سببا في إطلاق العقيرة على الصوت خصوصا أن الشيخ عبد القاهر لم يعرج على هذا السبب ، فقد ذكر صاحب لسان العرب في سبب هذا الإطلاق " أن رجلا عقرت رجله - أى قطعت- [١] فوضع العقيرة علي الصحيحة، وبكى عليها بأعلى صوته، فقيل رفع عقيرته..." [٢] ومادام العرب قد نطقت بهذا المجاز ، فلا بأس أن يتلمس المرء له علاقة مقبولة لعلها المجاورة ، والمصاحبة الزمنية بين رفع الرجل المعقورة ، ورفع الصوت بالتوجع، والأنين، وكلام الشيخ ينبئ أن لهذا المجاز علاقة لكنها واهية واهنة.

- المجاز المرسل عند الزمخشري ت ٥٣٨ هـ :

تناول جار الله الزمخشرى - رحمه الله - طرفا من علاقات المجاز المرسل مثل السببية ، والمسببية ، والكلية ، والجزئية ، واعتبار ماكان واعتبار مايكون ، والمجاورة ، والآلية ، والمحلية[٣].

ولابأس أن أشير إلى طائفة قليلة من هذه العلاقات من خلال أمثلة لم يسبق ذكرها فى هذا العمل رغبة فى تكثير الفائدة.

---

(١) لسان العرب ٣٠٣٥/٤ (عقر).

(٢) نفس المصدر والموضع.

(٣) ينظر البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى ، للدكتور محمد أبو موسى من ٤٤١ إلى ٤٤٦.

السببية: من المواضع التي أشار فيها صاحب الكشاف إلى علاقة السببية ماذكره عند تفسير قوله تعالى" ذلك عيسى بن مريم قول الحق.." (١) فقد قال : " وإنما قيل لعيسى كلمة الله ، وقول الحق؛ لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها، وهي قوله (كن) من غير واسطة أب ، تسمية للمسبب باسم السبب، كما سمى العشب بالسماء ، والشحم بالندى..." (٢) فكلمة الله ، أو قول الله سبب في وجود نبى الله عيسى - عليه السلام- فأطلق السبب على المسبب.

الكلية : ألمح إلي هذه العلاقة في بعض المواضع، منها ماجاء عند تفسير قوله تعالى " فاغسلوا وجوهكم وأيديكم" (٣) وقوله " فاقطعوا أيديهما" (٤) فقد بين أن المراد بالأيدى بعضها " الذى هو إلى المرفق ، والذى إلى الرسغ " (٥).

فقوله (الذى هو إلى المرفق) عائد إلى قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) لأن من المعلوم أن غسل الأيدى فى الوضوء يكون إلى المرافق، وقوله (والذى إلى الرسغ عائد إلى قوله تعالى (فاقطعوا أيديهما) لأن قطع يد السارق يكون إلى الرسغ) (٦).

---

(١) مريم /٣٤ .

(٢) الكشاف ٢/٤١٠.

(٣) المائدة / ٦.

(٤) المائدة / ٣٨.

(٥) الكشاف ١/٤٢.

(٦) ينظر تفسير القرطبي /٢١٦٨ ط الشعب .

وبناء على ماذكره يكون إطلاق الأيدى على بعضها مجازا مرسلا علاقته الكلية، لأن " اليد اسم لهذا العضو إلى المنكب"(١).

المجاورة : أومأ إلى هذه العلاقة عند تفسير قوله تعالى " قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة " (٢).

فقد قال : "حتى غاية لكذبوا، لا لخسروا ؛ لأن خسرانهم لا غاية له أى مازال بهم التكذيب إلي حسرتهم، وقت مجئ الساعة ، فإن قلت أما يتحسرون عند موتهم؟ قلت لما كان الموت وقوعا فى أحوال الآخرة، ومقدماتها ، جعل من جنس الساعة ، وسمى باسمها، ولذلك قال صلى الله عليه سلم من مات فقد قامت قيامته"(٣).

فكلامه واضح فى أن المراد بالساعة فى الآية الموت ، وعلى ذلك يستقيم اعتبار (الساعة) فى الآية شاهدا على علاقة المجاورة(٤) وإن كان فى النفس مما قاله شئ؛ لأن الظاهر - والله أعلم - أن الساعة فى الآية هى القيامة، وسميت القيامة ساعة؛ لسرعة الحساب فيها(٥).

---

(١) ينظر التفسير الكبير ، للإمام فخر الدين الرازى ٦ ١/٢٣١.

(٢) الأنعام / ٣١.

(٣) الكشاف ٢/١٠.

(٤) ينظر البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى / ٤٤٤.

(٥) ينظر تفسير القرطبى / ٢٤٠٨ ط الشعب .

الآلية : أشار إلى هذه العلاقة عند تفسير قوله تعالى "وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم" (١).

فقد قال : " .. (قدم صدق عند ربهم) أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة، فإن قلت لم سميت السابقة قدما ؟ قلت لما كان السعى والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما ، كما سميت النعمة يدا، لأنها تعطى باليد ، وباعا لأن صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم فى الخير..."(٢) فقد جعل إطلاق القدم على السعى، والسبق في ضروب الخير من إطلاق الآلة على أثرها (٣).

المجاز المرسل عند الإمام فخر الدين الرازى ت ٦٠٦هـ :

استخرجت من كلام الإمام الرازى فى تفسيره ثمانى عشرة علاقة من علاقات المجاز المرسل وهى ١- السببية ٢- المسببية ٣- الآلية ٤- إطلاق المعلول على العلة ٥- المجاورة ٦-إطلاق الدليل على المدلول ٧- الملزومية ٨- اللازمية ٩- اعتبار ماكان ١٠- اعتبار مايكون ١١- الجزئية ١٢- الكلية ١٣- العموم ١٤- المحلية ١٥- الحالية ١٦- التعلق ١٧- الضدية ١٨- إطلاق الأثر على المؤثر.

---

(١) يونس /٢.

(٢) الكشاف ١٨٠/٢.

(٣) ينظر البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى / ٤٤٤ -٤٤٥.

وقد بسطت القول فى هذه العلاقات فى رسالتى التي تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراه(١).

وبينت أنه يمكن رد بعضها إلى بعض ، فيمكن رد إطلاق المعلول على العلة، وإطلاق الأثر علي المؤثر - إلى علاقة المسببية(٢) ورد إطلاق الدليل على المدلول إلى المجاورة، لأنه يتخيل مجاورة كل منهما للآخر، كما فى قولهم فهمت الألفاظ، والمقصود المعانى، أو المحلية ؛ لأنه يتخيل أن الدال محل للمدلول أو السببية، لأن الدال سبب فى فهم المدلول(٣).

ونوهت بأفضليته وسبقه إلي ذكر هذه العلاقات الكثيرة التى أربت على ماذكره بعض البلاغيين الذين جاءوا من قبله مثل الشيخ عبد القاهر الجرجانى ، وبعض الذين جاءوا من بعده مثل الخطيب القزوينى ، وقلت لعله أفاد تلك العلاقات الكثيرة من علماء الأصول وهو علم من أعلامهم(٤).

المجاز المرسل عند السكاكى ت ٦٢٦هـ :

بعد هذه الرحلة مع المجاز المرسل ، أو إن شئنا الدقة مع ماهية ذلك المجاز وحقيقته - وجدنا (أبا يعقوب السكاكى) يطلق عليه

(١) المباحث البيانية فى تفسير الفخر الرازى من ١٦٦ إلى ٢٠٨ رسالة دكتوراه مخطوطه بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

(٢) نفسه / ١٧٣ ، ٢٠٨.

(٣) نفسه /١٧٥ وحاشية الإنبابى على الرسالة البيانية / ٢٤١.

(٤) المباحث البيانية فى تفسير الفخر الرازى / ٢١٦.

مصطلح المجاز المرسل، وقد جاءت هذه التسمية فى كلامه صريحة وهو يتحدث عن الحقيقة، والمجاز، والكناية ، فقد قال" ... والأول هو الاستعارة ، والثانى هو المجاز المرسل.."[١] وقال بعد ذلك بقليل "..وعرفنا تنوع المجاز إلى مرسل مفيد ، وغير مفيد، وإلى استعارة مصرح بها، ومكنى عنها"[٢].

ويبدو أنه استلهم هذه التسمية من بيان الشيخ عبد القاهر، وأفادها من كلماته الموحية التى سطرها يراعه فى كتابه (أسرار البلاغة) فقد جاءت كلمة (مرسل) في كلامه بمعنيين لهما اتصال وثيق بالمجاز المرسل **أحدهما:** التشبيه الخالى عن دعوى الاتحاد الموجودة في الاستعارة، ومما قاله فى ذلك " إنك لاتجرى اسم المشبه به على المشبه حتى تدعى أنه قد سار من ذلك الجنس تحو أن تجعل الرجل كأنه في حقيقة الأسد .. وكيف السبيل إلي دفعه ، وعليه المعول فى كون التشبيه على حد المبالغة، وهو الفرق بين الاستعارة وبين التشبيه المرسل"[٣] .

ثانيهما: عدم التقييد فقد قال وهو يتكلم عن الفرق بين فعل الربيع، وفعل الحى القادر " وإثبات الفعل من غير أن يقيد بما وقع الإثبات له لايصح الحكم عليه بمجاز، أو حقيقة، فلا يمكنك أن تقول

---

(١) المفتاح / ١٩٥ -١٩٦.

(٢) نفسه / ١٩٦.

(٣) أسرار البلاغة / ٣٣٠.

إثبات الفعل مجاز ، أو حقيقة هكذا مرسلا، وإنما تقول إثبات الفعل للربيع مجاز ، وإثباته للحي القادر حقيقة"[١].

فنجده قد استعمل كلمة (مرسل) بمعنى عدم التقييد ، وخلو التشبيه عن دعوى الاتحاد الموجودة في الاستعارة، ويبدو أن مايتردد في كتب البلاغة من أن هذا المجاز سمي مرسلا ؛ لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد الموجودة في الاستعارة ، أو لأنه غير مقيد بعلاقة واحدة [٢] مأخوذ من كلام الشيخ عبد القاهر المتقدم وكان المأمول أن يقرن السكاكي هذا الاسم أيضا بالعلاقات التي ذكرها في موضع آخر[٣] ليكون أتم للفائدة، ولكنه لم يفعل، وحسبه أنه أحرز قصبات السبق ، وأخرج هذا المصطلح إلى عالم الوجود.

وقد عرض السكاكي لبعض علاقات المجاز المرسل، وصرح باسم بعضها أثناء إلقاء الضوء عليها و هذه العلاقات هي :

السببية : ذكر السكاكي هذه العلاقة صراحة في قوله " ونحو أن يراد النبت بالغيث كما يقولون رعينا غيثا لكون الغيث سببا فيه"[٤].

---

(١) نفسه / ٣٣٢-٣٣٣ ، وينظر المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي ١٦٥- ١٦٦.

(٢) ينظر - مثلا - الأطول ، للعصام ١١٨/٢.

(٣) المفتاح / ١٧٢ -١٧٤.

(٤) المفتاح / ١٧٣.

فإطلاق الغيث علي النبات مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن الغيث سبب في النبات، ومعلوم أن الغيث لايرعى ، وإنما يرعى النبات الذى الغيث سبب فيه ، وقوله (.. لكون الغيث سببا فيه) صريح في ذكر اسم هذه العلاقة.

وأشار إليها أيضا فى قوله " نحو أن تراد النعمة باليد ، وهى موضوعة للجارحة المخصوصة لتعلق النعمة بها من حيث إنها تصدر عن اليد، ومنها تصل إلي المقصود بها .." [(١)].

وكلامه فى الموضعين السابقين مأخوذ من كلام الشيخ عبد القاهر الجرجانى [(٢)] وألمح السكاكى إلى هذه العلاقة فى قوله "وقول القائل : ... يأكلن كل ليلة إكافا

أى علفا بثمن إكاف للتعلق بين ذلك العلف، وبين الإكاف ، وقولهم أكل فلان الدم أى الدية ، للتعلق بينهما" [(٣)].

واضح أن إطلاق الإكاف على العلف من قبيل علاقة السببية ؛ لأن الإكاف بيع واشترى بثمنه علف، والدم الذى سفك من القتيل سبب فى الدية التى يشتري منها ولى القتيل مايقتات به، فإطلاق الدم علي الدية ، لأنه سبب فيها من إطلاق السبب على المسبب. ولعله قد تأثر الزمخشرى فى المثالين الأخيرين فقد قال عند تفسير

---

(١) نفسه /١٧٢ -١٧٣.

(٢) أسرار البلاغة / ٣١٧ -٣١٨.

(٣) المفتاح / ١٧٣.

قــوله تعــالى " أولئك مــا يأكلون فى بطونهم إلا النار" [١] "..ومنه قــولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التى هل بدل منه قــال (أكلت دما إن لم أرعك بضرة) وقال (يأكلن كل ليلة إكافا).

أراد ثمن الإكاف ، فسماه إكافا لتلبسه بكونه ثمنا له" [٢].

المسببية: تكلم عن هذه العلاقــة، وصــرح باســمهــا فــى بعض المواضع من حديثه عنها فقد قال " ومن أمثلة المجاز قوله تعالي (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) [٣] استعملت قرأت مكان أردت القراءة؛ لكون القراءة مسببة عن إرادتها استعمالا مجازيا بقرينة الفاء فى (فاستعذ) والسنة المستفيضة بتقديم الاستعاذة ، ولا تلتفت إلي من يؤخر الاستعاذة ، فذلك لضيق العطن، وقوله (ونادى نوح ربه) [٤] فى مــوضع أراد نداء ربه بقــرينة (فــقــال رب) وقــوله(وكم من قــرية أهلكناها) [٥] فى مــوضع أردنا هلاكــهــا بقــرينة (فــجــاءها بأسنا) والبأس الإهلاك ..." [٦] فقوله فى إثر آية (النحل) (لكون القــراء

---

(١) البقرة / ١٧٤.

(٢) الكشاف ١٠٠٨/١.

(٣) النحل /٩٨.

(٤) هود /٤٥.

(٥) الأعراف / ٤.

(٦) المفتاح / ١٧٣.

مسببة عن إدارتها صريح في أنه ذكرها باسمها ، ولعله متأثر بكلام صاحب الكشاف حول هذه الآيات فقد ذكر أن الإهلاك للقرية معناه أردنا إهلاكها [١] والنداء في آية هود (إرادة النداء) [٢] والقراءة في آية (النحل) (أردت قراءة القرآن) [٣].

المجاورة : وأشار إلى علاقة المجاورة في قوله " .. ونحو أن تراد المزادة بالراوية وهي في الأصل اسم للبعير الذي يحملها ، للعلاقة الحاصلة بينها وبينه بسبب حمله إياها ، أو أن يراد البعير بالخفض، وهو متاع البيت... " [٤].

الجزئية : وأومأ إلى علاقة الجزئية في قوله " ونحو أن يراد الرجل بالعين إذا كان ربيئة من حيث إن العين لما كانت المقصودة في كون الرجل ربيئة صارت كأنها الشخص كله " [٥].

ولم يقصر السكاكي علاقات المجاز المرسل في تلك العلاقات التي سلف ذكرها ؛ لأن علاقة الملابسة ، والتعلق تتسع لكثير من العلاقات ولذلك قال بعد أن ذكر العلاقات السابقة " ... وأمثال ذلك مما تعدى الكلمة بمعونة القرينة عن معناها الأصلي إلى غيره، لتعلق بينهما بوجه قويا أو ضعيفا ، واضحا أو خفيا... " [٦].

---

(١) الكشاف ٥٣/٢.

(٢) نفسه ٢١٨/٢.

(٣) نفسه ٣٤٣/٢.

(٤) المفتاح / ١٧٣.

(٥) نفسه / ١٧٣.

(٦) المفتاح / ١٧٤.

المجاز المرسل عند الخطيب القزوينى ت ٧٣٩ هـ :

جاء الخطيب فوجد السكاكي قد سمى هذا المجاز باسمه (المجاز المرسل) وأخذ هذا المصطلح الجديد مكانه فى ساحة الدرس البلاغى بعد أن كان معروفا من قبل عن طريق ملابسات المعني الأصلى ، والمعني المجازى - فذكر كثيرا من علاقاته منضوية تحت اسمه فى موضع واحد فقال فى (تلخيص المفتاح) " .. والمرسل كاليد فى النعمة ، والراوية فى المزادة ، ومنه تسمية الشئ باسم جزئه كالعين فى الربيئة ، وعكسه كالأصابع في الأنامل وتسميته باسم سببه نحو رعينا الغيث، أو مسببه نحو أمطرت السماء نباتا ، أو ماكان عليه نحو (وآتوا اليتامى أموالهم)[١] أو مايئول إليه نحو (إنى أرانى أعصر خمرا)[٢] أو محله نحو (فليدع ناديه)[٣] أو حالهُ نحو (وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله)[٤] أى فى الجنة، أو آلته نحو (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين)[٥] أى ذكرا حسنا"[٦] .

---

(١) النساء /٢.

(٢) يوسف /٣٦.

(٣) العلق /١٧.

(٤) آل عمران / ١٠٧.

(٥) الشعراء / ٨٤.

(٦) تلخيص المفتاح /٨٠-٨١.

وينظر بغية الإيضاح / ٩١-١٠٤.

وقـوله فى صدر كـلامـه "كـاليـد فى النعـمـة" إشـارة إلى عـلاقـة السببية، وقد ذكرها باسمها خلال كلامه فى قوله (نحو رعينا الغيث، وقـوله عـقب المثـال الأول (والراوية فى المزادة) إشـارة إلى عـلاقـة المجاورة، وقد صرح باسمها فى الإيضاح[١] " وكان عليه أن يذكر هذه الأمثلة فى مواضعها"[٢].

والعـلاقـات التى ذكـرها (تسع عـلاقـات ، وذكـر قـبلهـا الراوية للمزادة ، وهو من مـجاز المجـاورة، وكـأنه استـغنى بمثـاله عن ذكـره ، فحاصل ماذكره عشرة)[٣] ويشعر كلامه فى تلخيص المفتاح أنه لم يقصد حصر علاقات هذا المجاز فى تلك التى ذكرها ، كما ينبئ بذلك قـوله فى صـدر العـلاقـات التى عـددها (ومنه تسـمـيـة الشئ باسم جزئه..) ولو كان مراده حصرها ، لقال - مثلا - وهذه العلاقات هى ... ولم يقل (ومنه ..).

وقد يؤيد هذا الفهم أنه قال فى الإيضاح عقب علاقات المجاز المرسل ".. وكـذا غيـر ذلك مما بين مـعنى اللفظ، ومـاهو مـوضـوع له تعلق سوى التشبيه "[٤] وهو في ذلك سائر علي نهج السكاكـى،

---

(١) نفسه / ٩١.

(٢) عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح ، لبهاء الدين السبكى ٤/ ٣٦ شروح التلخيص .

(٣) نفسه ٤/٤٣.

(٤) بغية الإيضاح ٣/١٠١.

ومتابع له، فهو لم يرد حصر العلاقات، وإنما ذكر نماذج منها ، وترك الباب مفتوحا أمام غيرها من العلاقات ، والملابسات التى تقوم ، وتتواصل علي روابط بعيدة عن التشبيه.

ولعله من أجل ذلك لم تتفق كلمة البلاغيين على عدد معين من تلك العلاقات، فصاحب المطول يقول:

" وأنواع العلاقة المعتبرة كثيرة يرتقى ماذكروه إلى خمسة وعشرين.. "[١] وبهاء الدين السبكي يقول " وقد ذكر غيره - أى غير الخطيب - علاقات كثيرة تقارب هى وما ذكرناه أكثر من ثلاثين.. "[٢] ، وقد عد الإمام الزركشى من هذه العلاقات ستا وعشرين [٣] وقال صاحب الرسالة البيانية (علاقات المجاز المرسل علي التحقيق تسعة عشر)[٤].

وليس من هدف هذا العمل تتبع هذه العلاقات ، وتحديد عددها.

---

(١) المطول / ٣٥٥.

(٢) عروس الأفراح ... ٤٣/٤ شروح التلخيص .

(٣) ينظر البرهان فى علوم القرآن ٢٥٩/٢ - ٢٩٨.

(٤) الرسالة البيانية ، للصبان / ١٩٦.

الفصل الثانى

علاقات المجاز المرسل فى لسان العرب

١- السببية .
٢- المسببية.
٣- الآلية.
٤- المجاورة.
٥- اعتبار ماكان .
٦- اعتبار مايئول إليه .
٧- الكلية.
٨- الجزئية .
٩- المحلية .
١٠- الحالية.

السببية

هى "كون الشئ سببا ومؤثرا فى شئ آخر.." [١] نحو قولهم رعينا غيثا أى نباتا حاصلا بالغيث[٢].

وقد تناول صاحب لسان العرب هذه العلاقة على صور مختلفة:

إحداها: أنه كان يصرح بأن إطلاق السبب على المسبب مجاز، وإن كان لم يذكر اسم أو نوع هذا المجاز، ومن هذه المواضع ماذكره عند تناوله لبعض آى الذكر الحكيم، فقد صرح بأن استهزاء الله عز وجل فى مقابلة استهزاء المنافقين مجاز ، ومخادعته- تعالى - فى مقابلة مخادعتهم مجاز، فقال : " ...كقوله تعالى (إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم.." [٣] والاستهزاء من الكفار حقيقة ، وتعليقة بالله عز وجل مجاز جل ربنا وتقدس عن الاستهزاء ، بل هو الحق ، ومنه الحق، وكذلك قوله تعالى : "يخادعون الله وهو خادعهم" [٤] والمخادعة من هؤلاء فيما يخيل إليهم حقيقة ، وهى من الله سبحانه مجاز إنما الاستهزاء والخدع من الله عز وجل مكافأة لهم .. " [٥].

---

(١) الرسالة البيانية للصبان /١٩٧.

(٢) ينظر حاشة الإنبابى على الرسالة البيانية للصبان /١٩٧.

(٣) البقرة الآيتان / ١٤، ١٥.

(٤) النساء / ١٤٢.

(٥) لسان العرب ٣/ ١٦٥٠ (رشد).

فإطلاق الاستهزاء المتعلق بالله سبحانه وتعالى على معاقبتهم ومجازاتهم مجاز مرسل من إطلاق السبب على المسبب، لأن استهزاءهم كان سببا فى مكافأتهم على سوء عملهم، ومثل ذلك المخادعة الحاصلة منهم ، والمنسوبة إلى الله عز وجل.

وقد نظّر صاحب اللسان المجاز فى الآيتين السابقتين بقول عمرو ابن كلثوم.

ألا لايجهلن أحد علينـــــا

فنجهل فوق جهل الجاهلينـــا

ثم عقب على البيت بقوله:" أى إنما نكافئهم على جهلهم"(١).

فهو يريد أن يقول إن قول الشاعر : (...فنجهل..) ليس جهلا على الحقيقة، إنما هو مجازاة على الجهل السابق فى البيت ، فأطلق الجهل على المجازاة ، والمكافأة ؛ لأن الجهل الأول كان سببا فى هذه المجازاة، فهو من إطلاق السبب على المسبب.

ولايخفى أن الجهل فى البيت ليس مقابلا للعلم ، وإنما هو الخفة والطيش والنزق والسفاهة(٢) على حد قول حسان :

رب حلم أضاعه عدم المـــا ل وجهل غطى عليه النعيــــم(٣)

فقد جعل الجهل مقابلا للحلم ، لا للعلم.

---

(١) المصدر نفسه والموضع.

(٢) ينظر شرح المعلقات السبع ، للزوزنى /١٥١.

(٣) البيت فى لسان العرب ٣٢٧٣/٥ (غطى).

ونظّر صاحب لسان العرب المجاز في بيت عمرو بن كلثوم الذى تقدم ذكره، وماقبله بالمجاز فى قوله تعالى : " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم"[١].

ولم يوضح مافى الآية الأخيرة من مجاز، ولكنه عرض له فى موضع آخر بشئ من البسط ، والإيضاح، فذكر أن الاعتداء فى قوله تعالى (فاعتدوا) ليس اعتداء على وجه الحقيقة، وإنما هو مجازاة على اعتداء ، فقال بعد أن أورد الآية الكريمة "سماه اعتداء ؛ لأنه مجازاة اعتداء فسمي بمثل اسمه ، لأن صورة الفعلين واحدة ، وإن كان أحدهما طاعة ، والآخر معصية .."[٢].

فكلامه واضح فى أن الاعتداء فى قوله تعالى (فاعتدوا) مجاز مرسل من إطلاق السبب على المسبب ؛ لأن الاعتداء الأول سبب فى هذا الرد، وتلك المجازاة، وإن كانت صورة الفعلين واحدة - كما قال- وقد وقفت أمام قوله (وإن كان أحدهما طاعة، والآخر معصية) يقصد أن الاعتداء علي الناس ابتداء معصية، والاقتصاص من المعتدى طاعة، وتساءلت فى نفسي هل يعتبر رد الاعتداء طاعة يثاب عليه فاعله مع دعوة الإسلام المتكررة فى القرآن والسنة إلي العفو عن الناس، والإعراض عن الجاهلين منهم. فى مثل قوله تعالى : "...والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين "[٣]، وقوله " فمن عفا وأصلح فأجره علي الله" [٤].

---

(١) البقرة /١٩٤.
(٢) لسان العرب ٢٨٤٦/٤ (عدا).
(٣) آل عمران /١٣٤.
(٤) الشورى /٤٠.

الذى يتبادر إلى نفسى – والله أعلم – أن من يجازى المسئ بإساءته ، ويقتص منه قد رفع الله عنه المؤاخذة، كما ينطق بذلك قوله تعالى " ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل " (١).

أما أن يكون ذلك من قبيل الطاعة التى يثاب عليها فاعلها، فهذا مايحتاج إلي تحرير وتدقيق ليس هذا موضعه .

وكان جميلا من صاحب لسان العرب أن يلوح إلى أن أسلوب هذه الآيات التى عبر فيها بالسبب عن المسبب جار على نهج العرب فى كلامهم، وسائر علي طريقهم الملحوب فى بيانهم ، فقد قال فى إثر كلامه الذى سلف ذكره:"والعرب تقول ظلمنى فلان فظلمته أى جازيته بظلمه والأول ظلم، والثانى جزاء ليس بظلم، وإن وافق اللفظ اللفظ.." (٢).

وهو بذلك يؤكد أن القرآن الكريم أنزله الله بلسان عربى مبين ، وقد ساق صاحب لسان العرب أمثلة أخرى لهذا الأسلوب من كلام العرب عندما تناول عقب كلامه السابق آية كريمة تشتمل على مثله فقال " .. مثل قوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) (٣) السيئة الأولى سيئة ، والثانية مجازاة ، وإن سميت سيئة ، ومثل ذلك فى كلام العرب كثير يقال أثم الرجل يأثم إثما وأثمه الله علي إثمه أى جازاه عليه يأثمه أثاما قال الله تعالي : (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) (٤)

---

(١) الشورى /٤١.

(٢) لسان العرب ٢٨٤٦/٤ (عدا) .

(٣) الشورى /٤٠.

(٤) الفرقان /٦٨.

أي جزاء لأثمة، وقوله (إنه لايحب المعتدين) المعتدون المجاوزون ما أمروا به "(١).

واضح من كلامه السابق أن السيئة الثانية في الآية مجاز من إطلاق السبب على المسبب، والذي يدل على أنها مجاز أن الله رفع السبيل والمؤاخذة عن فاعلها، فقال في عقب الآية التي ذكرت فيها "ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل" (٢) ولو كانت سيئة على الحقيقة ، ماصح ذلك (٣).

وقد لحظت أن صاحب لسان العرب قد أورد في أواخر كلامه الذي نحن بسبيله قوله تعالى: " إنه لايحب المعتدين" على أنه كما يبدو من سياق حديثه تذييل لقوله تعالى : " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (٤) لأنها أقرب الآيات التي جاء فيها (اعتداء) والصواب أن تلك الآية قد ختمت بقوله تعالى: "واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين".

وليس ببعيد أن يكون قد أورده على أنه تذييل لقوله تعالى: "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا" (٥) فإن صح

---

(١) لسان العرب ٤/٢٨٤٦ - ٢٨٤٧ (عدا).

(٢) الشورى /٤١.

(٣) ينظر تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبد الجبار / ٣٧٥ .

(٤) البقرة / ١٩٤.

(٥) البقرة / ١٩٠.

ذلك، فإنه يؤخذ عليه أنه فصله عن آيته بعدة آيات ، وجعل الشقة بينهما بعيدة ، وأيضا فإن هذه الآية قد ختمت بقوله عز وجل : " إن الله لايحب المعتدين" (١) بإظهار اسم الجلالة ، ولعل ذلك سهو ، أو خطأ من النساخ.

وماذكره صاحب لسان العرب حول الآيات التى سلفت ، وأمثالها من كلام العرب مشهور متداول عند البيانيين (٢).

وقد ذكر الخطيب القزوينى فى الإيضاح ضمن أمثلة السببية قوله تعالى: " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (٣) وقال : سمى جزاء الاعتداء اعتداء؛ لأنه مسبب عن الاعتداء "(٤) وقوله تعالى: " وجزاء سيئة سيئة مثلها " (٥) وقال : "تجوز بلفظ السيئة عن الاقتصاص؛ لأنه مسبب عنها " (٦).

ثم قول عمرو بن كلثوم :

ألا لايجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال "الجهل الأول حقيقة، والثانى مجاز عبر به عن مكافأة الجهل" (٧).

---

(١) البقرة / ١٩٠.

(٢) ينظر -مثلا- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة / ٣٧٧.

(٣) البقرة / ١٩٤.

(٤) بغية الإيضاح ٩٦/٣.

(٥) الشورى / ٤٠.

(٦) المرجع نفسه والموضع.

(٧) المرجع السابق الموضع نفسه.

وقد حاول بهاء الدين السبكى أن يجعل الجهل الثانى فى قول عمرو بن كلثوم المعبر عنه بقوله (فنجهل) حقيقة، وليس مجازا ؛ لأنه زائد على الجهل الأول ، والزيادة جهل حقيقى، ولكنه سرعان مارجع عوده علي بدئه ، وأبقاه على مجازيته فقال : "... ثم نقول (فنجهل فوق جهل الجاهلينا) حقيقة قطعا؛ لأن الجهل فوق جهل الجاهلين ليس مكافأة؛ لأنه ليس مثله، بل زائد عليه ، والزيادة على مقدار القصاص جهل بخلاف (مثل ما اعتدى عليكم) .. وقد يجاب عنه بأن مقابلة التأديب بأكثر منه عند الجاهلية كان محمودا يمتدحون به، فليس جهلا حقيقة، فصح أن تسميته جهلا مجاز"(١).

ومن المواضع التى صرح فيها بأن إطلاق السبب على المسبب مجاز ماذكره فى قوله صلى الله عليه وسلم: " من ولى قاضيا ، فقد ذبح بغير سكين"(٢) ، فقد ذكر أن الذبح فى الحديث مجاز عن الهلاك؛ لأنه من أسرع أسبابه فقال بعد أن أورد الحديث:

" ... معناه التحذير من طلب القضاء ، والحرص عليه أى من تصدى للقضاء وتولاه ، فقد تعرض للذبح فليحذره ، والذبح ههنا مجاز عن الهلاك ؛ فإنه من أسرع أسبابه..."(٣).

فالذبح فى الحديث ليس ذبحا علي سبيل الحقيقة، وإنما هو مجاز عن الهلاك.

---

(١) عروس الأفراح ٣٨/٤ شروح التلخيص .

(٢) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ١٥٣/٢.

(٣) لسان العرب ١٤٨٥/٣ (ذبح).

وقد بين صاحب لسان العرب أن فائدة قوله صلى الله عليه وسلم- (بغير سكين) وهو مايبدو أنه ترشيح للمجاز تحتمل وجهين أحدهما: أن الذبح إذا كان بغير سكين، يكون تعذيبا للمذبوح، وهذا أبلغ فى الحذر منه الثانى أنه هلاك لدين ذلك القاضى، لا لبدنه[١].

وليس فى هذا الحديث تنفير من القضاء،أو انتقاص من رسالته السامية، وكذلك ليس فيه غض من قيمة القضاة، أو ازدراء بهم، وإنما هو -كما يبدو- تحذير لنوع من القضاة، ضعفاء فى نزاهتهم، لايتحرون الحق ولايحكمون بالعدل.

ثانيهما: أنه كان أحيانا لايصرح بلفظ المجاز، ويذكر بدلا منه كلمة (سبب) أو نحو ذلك خلال توضيحه لحقيقة هذا المجاز، وإلقاء الضوء عليه.

ومن هذا النوع ماذكره فى بعض المواضع عندما قال:

من الآكلين الماء ظلما فما أرى ينالون خيرا بعد أكلهم الماء

فإنما يريد قوما كانوا يبيعون الماء فيشترون بثمنه مايأكلون، فاكتفى بذكر الماء الذى هو سبب المأكول عن ذكر المأكول" [٢].

فالماء ليس مأكولا ،إنما المأكول شئ اشترى بثمن الماء، فأطلق الماء وهو السبب على الشئ المأكول المسبب عن ثمن الماء، والقرينة – كما يبدو – فى البيت كلمة (الآكلين) التى عملت فى لفظ الماء النصب، وبدهى أن الأكل لايكون للماء، وإنما يكون للطعام.

---

(١) ينظر المصدر السابق الموضع نفسه.

(٢) لسان العرب ١٠١/١ (أكل).

ويبدو أن بيع الماء كان مذموما عند العرب؛ لكرمهم ، وشغفهم بمعالى الأمور، والترفع عن سفسافها ، ولعل بعض أراذلهم كانوا يبيعونه، ويأكلون بثمنه ، والبيت ينضح بهذا الذم ، وإن كنا لاندرى شيئا عن سياقه، ومناسبته ؛ لأن الماء ضرورة من ضرورات الحياة، لايستغنى عنه كائن حى ، وربما كان هذا هو السبب الذى حدا برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل الماء شركة بين الناس جميعا عندما قال : "المسلمون شركاء فى ثلاث فى الكلأ والماء والنار " (١).

ويؤكد ماذكره صاحب اللسان حول المجاز فى البيت السالف الذكر أن ابن جنى عده من باب الاكتفاء بالسبب عن المسبب ، وهذا يعنى أن فى البيت مجازا مرسلا علاقته السببية، وقد أورد البيت برواية أخرى لاتختلف عن تلك التى جاءت فى لسان العرب إلا فى كلمة واحدة هى الفعل(ذر) فى صدر البيت بدلا من حرف الجر (من) فرواه علي هذه الصورة :

ذر الآكلين الماء ظلما فما أرى   ينالون خيرا بعد أكلهم الماء

ثم أردف البيت بقوله: "يريد قوما كانوا يبيعون الماء، فيشترون بثمنه ماياكلونه ، فاكتفى بذكر الماء الذى هو سبب المأكول من ذكر المأكول" (٢)، وقد لحظت أن كلمات صاحب اللسان تجاه المجاز فى البيت مأخوذة بنصها وفصها من كلام ابن جنى ، ولعله ناقل عنه مباشرة ، أو آخذ عمن نقل عنه.

---

(١) سنن أبى داود ، كتاب البيوع ، باب فى منع الماء ٢٧٨/٣.

(٢) الخصائص، لابن جنى ١٥٢/١ تحقيق محمد على النجار، دار الهدى للطباعة والنشر لبنان - بيروت ط ثانية .

ومن هذا النوع الذى صرح فيه صاحب اللسان بكلمة (السبب) ماذكره من إطلاق الإملاق ؛ وهو كثرة إنفاق المال ، وتبذيره على الافتقار فقد قال : " الإملاق الافتقار قال اله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) [١] .

وفى حديث فاطمة بنت قيس أما معاوية فرجل أملق من المال[٢] أى فقير منه قد نفد ماله ، يقال أملق الرجل فهو مملق ، وأصل الإملاق الإنفاق يقال أملق مامعه إملاقا ، وملقه ملقا إذا أخرجه من يده ، ولم يحبسه ، والفقر تابع لذلك ، فاستعملوا لفظ السبب فى موضع المسبب حتى صار به أشهر ... " [٣].

ويتابع صاحب اللسان كلامه قائلا:

" ... والإملاق كثرة إنفاق المال وتبذيره حتى يورث حاجة ... وقيل المملق الذى لاشئ له .." [٤].

فكلامه صريح فى أن إطلاق الإملاق على الفقر ، من إطلاق السبب على المسبب ؛ لأن الإملاق كثرة إنفاق المال وتبذيره ، والفقر تابع لذلك ، ومضمون كلام صاحب لسان العرب أن هناك فرقا بين الإملاق والفقر ؛ فالإملاق افتقار أتى بعد غنى ووجد ، جلبه الإسراف والتبذير ، والفقر العدم ابتداء .

---

(١) الأنعام /١٥١.

(٢) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٣٥٧/٤.

(٣) لسان العرب ٦/ ٤٢٦٥ (ملق).

(٤) المصدر نفسه والموضع.

وقد ذكر فى آخر كلامه الذى نقلته آنفا قولا آخر هو أن المملق هو الذى لاشئ له، وعلى هذا الرأى لايكون مما نحن فيه ، وقد أورد هذا الرأى بصيغة (قيل) التى تدل على ضعف هذا الرأى عنده ،وأنه يفضل القول بأن الإملاق هو الفقر أو الافتقار الذى جاء من السرف والتبذير.

وقد يؤيد هذا الرأى ويسانده قول الزمخشرى أملق الدهر ماله أذهبه، وأخرجه من يده ، وأملق الرجل أنفق ماله حتى افتقر.. [١].

والذى يهمنا فى هذا المقام أن العرب استعملوا لفظ الإملاق بمعنى الفقر استعمالا للسبب مكان المسبب، فيكون مجازا مرسلا علاقته السببية ، ويظهر أن هذا المجاز قد شاع واشتهر عندهم حتى صار حقيقة فى الفقر، ولعله من أجل ذلك ذكر كثير من المفسرين أن الإملاق فى قوله تعالى (ولاتقتلوا أولادكم من إملاق) [٢] هو الفقر [٣] دون أن يلقوا بالا لكون هذا الفقر أصيلا أو طارئا ؛ لأن هذا لايتعلق به غرض من الأغراض [٤].

---

(١) أساس البلاغة (ملق).

(٢) الأنعام /١٥١.

(٣) ينظر الكشاف ٤٨/٢ والتفسير الكبير ، ٢٤٥/١/٧ ، وتفسير أبى السعود ١٩٨/٤/٢، وتفسير البيضاوى /٢٢٠.

(٤) ذكر أبو هلال العسكرى أن المملق مشتق من الملق، وهو الخضوع والتضرع ، ولما كان الفقير فى أغلب الأحوال خاضعا متضرعا سمى مملقا، ولايكون إلا بعد غنى ثم قال: "ويجوز أن يقال إن الإملاق نقل إلى عدم التمكن من النفقة على العيال..."
الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى/ ١٧١ منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط خامسة ١٩٨١م.

ثالثها: أنه كان فى بعض الأحيان لايصرح بلفظ المجاز ، ولابكلمة السبب أو نحوها، ولكن عرضه لمعنى المجاز أو بيانه لمدلوله يشعر أنه يقصد هذا النوع من المجاز أعنى إطلاق السبب علي المسبب.

من ذلك ماذكره عند تناوله لمادة (رحم) فقد قال:".. وسمى الله الغيث رحمة؛ لأنه برحمته ينزل من السماء"(١).

فقوله (لأنه برحمته ينزل..) ينبئ أن الرحمة سبب فى إنزال الغيث، وهو مسبب عنها، وهذا مجاز مرسل علاقته السببية..

ولم يصرح فى هذا الموضع إلا بهذه الكلمات المقتضبة حول هذا المجاز ، ولم يومئ إلى الآية الكريمة التى سمى الله فيها الغيث رحمة، ولعله يشير إلى مثل قوله تعالى: " وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته" (٢).

فإن رحمته فى هذه الآية يراد بها- والله أعلم- الغيث ، وقد صرح بذلك غير واحد من المفسرين فقد قال صاحب الكشاف: "....(بين يدى رحمته) أمام رحمته، وهى الغيث الذى هو أتم النعم.."(٣) وعبارة البيضاوى وأبى السعود " قدام رحمته التى هى المطر"(٤) وظاهر أن أبا السعود قد نقلها عن البيضاوى، وكلاهما يرتشف من بيان جار الله الزمخشرى، ويغترف من علمه الغزير.

---

(١) لسان العرب ١٦١٣/٣ (رحم).

(٢) الأعراف / ٥٧ .

(٣) الكشاف ٦٦/٢.

(٤) ينظر تفسير البيضاوى /٢٣٠، وتفسير أبى السعود ٢٣٤/٤/٢.

ومن هذا القبيل ماذكره حول قول الراجز :

إن لنا أحمرة عجافـــا   يأكلن كل ليلة إكافـــا

فقد قال فى إثره: " أى يأكلن ثمن إكاف أى يباع إكاف ويطعم بثمنه ، ومثله نطعمها إذا شتت أولادها أى ثمن أولادها ، ومنه المثل تجوع الحرة، ولا تأكل ثدييها [١] أى أجرة ثدييها" [٢].

واضح أن فى (إكاف) مجازا مرسلا علاقته السببية، استعمل فيه السبب مكان المسبب ، إذ المراد به علف يشترى بثمن إكاف، والقرينة علي مايبدو قوله (يأكلن) لأن الإكاف، وهو البرذعة [٣] لايؤكل، وكذلك المراد بأولادها فى قولهم(نطعمها إذا شتت أولادها) ثمن أولادها ، والمراد بثدييها فى المثل أجرة رضاع ثدييها .

ونلحظ فى بادئ النظر أن السببية فى جميع تلك الأمثلة ليست مباشرة؛ لأن الإكاف - مثلا- أطلق على ثمنه ، ثم أطلق ثمنه على مايشترى به،ويؤكل، وهو العلف؛لذلك قال صاحب بغية الإيضاح

---

(١) أى لاتكون مرضعة وإن أذاها الجوع ، ويروى بثدييها ، ومعناهما واحد لأن معنى لاتأكل ثدييها لاتأكل أجرة ثدييها ، ومعنى بثدييها أى لاتعيش بسبب ثدييها ، وبما يغلان عليها. مجمع الأمثال ، للميدانى ١٢٢/١ ، ١٢٣ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥م.

(٢) لسان العرب ١٠٠/١ (أكل).

(٣) ينظر المعجم الوجيز مادة (أكف) إصدار مجمع اللغة العربية - القاهرة.

عن المجاز فى هذا المثال إنه - أى الإكاف- " يجوز أن يكون مجازا عن ثمنه، ثم صار مجازا عن العلف ، فيكون مجازا على مجاز"[١].

وسنعرض - إن شاء الله- فيما يأتى لاستعمال المجاز على المجاز.

ومن هذا الضرب الذى لم يصرح فيه بكلمة المجاز، أو بكلمة السبب، أو نحوها- ماجاء في الحديث الذى أورده صاحب لسان العرب وهو يتناول معنى (التنور) الذى يخبز فيه[٢] فقد قال : "...وفى الحديث قال لرجل عليه ثوب معصفر: لو أن ثوبك فى تنور أهلك ، أو تحت قدرهم ، كان خيرا[٣] فذهب فأحرقه . قال ابن الأثير إنما أراد أنك لو صرفت ثمنه إلى دقيق تخبزه ، أو حطب تطبخ به، كان خيرا لك، كأنه كره الثوب المعصفر"[٤].

واضح من تعقيب ابن الأثير على الحديث المذكور أن فى قوله صلى الله عليه وسلم (ثوبك..) مجازا مرسلا علاقته السببية حيث ذكر السبب ، وأريد به المسبب ، وهو مايشترى بثمن الثوب من حطب ودقيق.

---

(١) بغية الإيضاح ٩٤/٣.

(٢) لسان العرب ٤٥٠/١ (تنر).

(٣) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ١٩٩/١.

(٤) فى المعجم الوجيز : يقال عصفر الثوب وغيره صبغه بالعصفر ، وهو نبات يستخرج منه صبغ أحمر يصبغ به الحرير ونحوه (مادة عصفر).

والقرينة فى هذا الحديث- كما يبدو- معنوية لم يفطن لها هذا الرجل، فلا يتصور أن يطلب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من أحد أفراد أمته أن يحرق ثوبه، ويتلف ماله[(١)] ومن يدرى لعله صلى الله عليه وسلم كان يعلم من أحوال هذا الرجل ماليس مصرحا به فى الحديث من فقره، وحاجته، وحاجة أهله إلى ثمن هذا الثوب ، يشترون به مايسد رمقهم، أو يدفع مسغبتهم.

وقد يؤيد هذا الفهم إضافة (تنور) إلى (أهلك) فى الحديث ، فهم المحتاجون إلى ثمن هذا الثوب، الأحرياء بأن ينتفعوا به، ولو كان الأمر كما قال ابن الأثير" .. كانه كره الثوب المعصفر" لأمره بتغييره، أو نهاه عن لبسه.

---

(١) نبهنى أحد الأساتذة الأجلاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أحد أصحابه بحرق ثوبيه المعصفرين ، فقد روى مسلم عن عبد الله بن عمرو -رضى الله عنهما- قال رأى النبى صلى الله عليه وسلم علىّ ثوبين معصفرين فقال : أأمك أمرتك بهذا؟ قلت أغسلهما قال : بل احرقهما.

صحيح مسلم بشرح النووى ٤/٧٨٨ ط الشعب .

ولايخفى أن هذا الحديث الذى رواه مسلم ليس فيه مجاز ، ولعله يمثل حالة خاصة رأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا - رضى الله عنه ذا مال، وميسرة ، فأراد أن يشدد عليه العقوبة زجرا له ولغيره عن مثل هذا الفعل - كما ذكر الإمام النووى فى شرح هذا الحديث .

ينظر المرجع السابق الموضع نفسه .

بقيت كلمة تلح على نفسى أن أقولها فى هذا الرجل الذى جاء ذكره فى الحديث إن هذا الرجل كما بدا من صنيعه قوى الإيمان ، صادق مع الله ورسوله، أطاع رسول الله فى أمر متوهم ، توهم أنه يريد منه أن يحرق ثوبه الذى يستره ، ويتجمل به فما تردد ، أو تلكأ، أو جادل رسول الله فيما فهم من كلامه ، رضوان الله عليه.

ومن هذا القبيل الذى لم يصرح فيه بكلمة المجاز ، أو يذكر فيه كلمة السبب ، أو نحو ذلك ، ما أشار إليه من استعمال كلمة "اليد" فى معان مجازية كاستعمالها فى النعمة، لأنها سبب فى إيصالها إلى المنعم عليه فقد قال: " ... واليد النعمة والإحسان تصطنعه ، والمنة، والصنيعة، وإنما سميت يدا؛ لأنها إنما تكون بالإعطاء ، والإعطاء إنالة باليد ، والجمع أيد ، وأياد جمع الجمع " [١].

فاليد بمعنى النعمة والإحسان مجاز مرسل علاقته السببية، أطلق فيه السبب على المسبب ، وقد جاء على هذا النمط قول أبى الطيب المشهور :

له أياد على سابغة أعد منها ولا أعددها

حكى صاحب لسان العرب عن أحد اللغويين أنهم يقولون " له على يد ، ولا يقولون له عندى يد وأنشد :

له على أياد لست أكفرها وإنما الكفر ألا تشكر النعم [٢]

ومن المعانى المجازية التى ألمح صاحب اللسان إلى أن اليد تستعمل فيها أيضا القوة والقدرة والغنى فقد قال:

---

(١) لسان العرب ٤٩٥٢/٦ (يدى).

(٢) المصدر نفسه ٤٩٥٣/٦ (يدى).

".. والعرب تقول مالى به يد أى مالى به قوة، ومالى به يدان ، ومـــالهم بذلك أيد أى قـــوة، ولهم أيد وأبصـــار، وهم أولو الأيدى والأبصار، واليد الغنى والقدرة تقول مالى عليه يد أى قدرة" (١).

ونلحظ أن قوله : وهم أولو الأيدى والأبصار اقتباس من قوله تعـالى: "واذكـر عـبـادنا إبراهيم واسـحق ويعـقـوب أولى الأيدى والأبصار" (٢).

وقد ذكر العلامة أبو السعود فى تفسيره مايؤيد هذا المعنى الذى قاله لسان العرب فقد قال فى معنى (أولى الأيدى والأبصار) "..أولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين" (٣).

وقد تطرق البلاغيون إلي استعمال "اليد" فى النعمة ، والقوة ، والقدرة، فذكر الشيخ عبد القاهر الجرجانى " أن اليد تقع للنعمة ، وأصلها الجارحة ، لأجل أن الاعتبارات اللغوية تتبع أحوال المخلوقين وعاداتهم ، ومايقتضيه ظاهر البينة ، وموضوع الجبلة، ومن شأن النعمة أن تصدر عن اليد ومنها تصل إلي المقصود بها ، والموهوبة هى منه ، وكذلك الحكم إذا أريد باليد القوة والقدرة ؛ لأن القدرة أكثر مايظهر سلطانها فى اليد وبها يكون البطش والأخذ والدفع والمنع والجذب والضرب والقطع.." (٤).

---

(١) المصدر نفسه والموضع.

(٢) ص / ٤٥ .

(٣) تفسير أبى السعود ٤/٧/٢٣٠.

(٤) أسرار البلاغة / ٣١٦.

فاليد على وجه الحقيقة هي الجارحة التي خلقها الله للإنسان ، وزوده بها؛ ليستخدمها في قضاء حاجاته، وإظهار مهاراته ، وتدوين علومه ، وإتقان فنونه ، وقد تخرج عن ذلك المعنى الأصلي لمعان مجازية- كما أسلفت – لها صلة وثيقة بمعناها الأصلي ، ورابطة قوية لاتنفصم عراها بين معناها الحقيقي ، ومعناها الذى خرجت إليه على سبيل المجاز، فاليد الحقيقية سبب في المعاني المجازية، وهي مسببة عنه " ولذلك تجدهم لايريدون باليد شيئا لا ملابسة بينه وبين هذه الجارحة بوجه" [١]وكتب البلاغة على بكرة أبيها لاتكاد تخلو من إشارات إلى استعمال كلمة اليد بمعنى النعمة مجازا مرسلا علاقته السببية[٢] ، لذلك لا أجد داعيا إلى ذكر المزيد من كلامهم في هذا الأمر.

وإذا كانت اليد قد أطلقت علي أثرها كالنعمة وغيرها ، فإن الإصبع قد أطلقت على الأثر الحسن؛ لأنها سببه أيضا قال صاحب لسان العرب : " والإصبع الأثر الحسن يقال فلان من الله عليه إصبع حسنة أي أثر نعمة حسنة وعليه منك إصبع حسنة أى أثر حسن ... وإنما قيل للأثر الحسن إصبع لإشارة الناس إليه بالإصبع .. ويقال للراعي على ماشيته إصبع أى أثر حسن ، وعلى الإبل من راعيها إصبع مثله، وذلك إذا أحسن القيام عليها فتبين أثره فيها قال الراعي يصف راعيا:

---

(١) المرجع نفسه والموضع.

(٢) ينظر – مثلا – المطول /٣٥٥.

وبغية الإيضاح ٩١/٣.

ضعيف العصا بادى العروق ترى له   عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

ضعيف العصا أى حاذق الرعية، لايضرب ضربا شديدا يصفه بحسن قيامه على إبله فى الجدب" (١).

وضعيف العصا كناية عن حسن الرعية، والعمل بما يصلحها، ويحسن أثره عليها (٢) فهذا الراعى شفيق علي إبله أو غنمه ، رفيق بها " يرتاد لها أطيب المراعى ، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر".

وقد جعل الشيخ عبد القاهر الجرجانى إطلاق الإصبع على الأثر الحسن عديلا لإطلاق اليد على النعمة فقال عقب فراغه من الكلام حول إطلاق اليد علي النعمة: ؛ ... ونظير هذا قولهم فى صفة راعي الإبل إن له عليها إصبعا أى أثرا حسنا وأنشدوا :

ضعيف العصا بادى العروق   (البيت)

وأنشد شيخنا -رحمه الله- مع هذا البيت قول الآخر :

(صلب العصا بالضرب قد دماها)

أى جعلها كالدمى فى الحسن (٣).

وقد بدا لى أن ثم تعارضا بين كلام الشيخ عبد القاهر ، وصاحب لسان العرب حول العلاقة في إطلاق الإصبع على الأثر الحسن ، فإن جعل الشيخ العلاقة بين الإصبع، والأثر الحسن مناظرة

---

(١) لسان العرب ٢٣٩٥/٤ (صبع).

(٢) بغية الإيضاح ١٨١/٣.

(٣) أسرار البلاغة / ٢٨٣.

للعلاقة بين اليد ، والنعمة يعارضه فيما يترا ءى لى قول صاحب اللسان- الذى سبق ذكره قريبا- " وإنما قيل للأثر الحسن إصبع لإشارة الناس إليه بالإصبع" لأنه يشعر أن العلاقة هى المسببية ؛ لأن الإشارة بالإصبع مسببة عن الأثر الحسن، وقد يقوى ذلك المنحى قول الزمخشرى: " ورأيت على نعم بنى فلان إصبعا لهم أى يشار إليها بالأصابع لحسنها وسمنها وحسن أثرهم فيها .." (١).

فإن صح هذا الذى بدا لى ، فليس حتما أن يكون هذا التعارض ناتجا عن خطأ فى كلام هؤلاء الأعلام الأفذاذ ، فإن لكل وجهته التى يمكن أن نستشفها من خلال كلامه ، دون أن نجد لهذا التعارض أثرا ، أو عثيرا؛ فإن الشيخ عبد القاهر يكون قد نظر إلى هذا المجاز من ناحية كون الإصبع سببا في أثرها، بخلاف ماينبئ به كلام صاحب لسان العرب، والزمخشرى من كون الإصبع مسببا عن الأثر الحسن "ولاضير في تعدد العلاقات فى المجاز الواحد ، ومدار الفرق بينهما فى العلاقة المقصودة" (٢).

وقد لحظت أن الشيخ عبد القاهر قد وفق بين قول الشاعر :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له   عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

وشطر البيت الذى أنشده شيخه لشاعر آخر :

(صلب العصا بالضرب قد دماها).

---

(١) أساس البلاغة (صبع).

(٢) ينظر حاشية الخضرى على شرح الملوى على السمرقندية /٤٦.

مبينا أن معناهما وإن بدا فى بادئ النظر متضادا إلا أنهما يرجعان إلى غرض واحد هو حسن سياسة الرعية، والحرص على صلاح أمرها فقال: " .. وكأن قوله (صلب العصا) وإن كان ضد قول الآخر (ضعيف العصا) فإنهما يرجعان إلى غرض واحد ، هو حسن الرعية، و العمل بما يصلحها ، ويحسن أثره عليها ، فأراد الأول بجعله ضعيف العصا أنه رفيق بها ، مشفق عليها ، لايقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة، فهو يتخير مالان من العصى ، وأراد الثانى أنه جيد الضبط لها ، عارف بسياستها فى الرعى ، يزجرها عن المراعى التى لاتحمد ، ويتوخى بها ماتسمن عليه ، ويتضمن أيضا أنه يمنعها عن التشرد والتبدد..." (١) ويبدو من توفيق الشيخ بين قول بعضهم (ضعيف العصا) وقول الآخر : (صلب العصا) أنه استوعب كلام اللغويين فيهما ، ثم عرضه بأسلوبه الجميل الأخاذ الذى يملأ العين جمالا ، والأذن تشنيفا ، فعلاوة على مانقلته عن صاحب لسان العرب فى صدر هذا الحديث فقد وجدته فى موضع آخر ينقل عن الأزهرى قوله :

" ويقال للراعى إذا كان قويا على إبله ، ضابطا لها إنه لصلب العصا ، وشديد العصا ومنه قول عمر بن لجأ : (صلب العصا جاف عن التغزل) ." (٢)

---

(١) أسرار البلاغة / ٢٨٣.

(٢) لسان العرب ٢٩٧٩/٤ (عصا).

ثم يضيف صاحب اللسان قائلا:

" ورجل لين العصا رفيق حسن السياسة لما يلى يكنون بذلك عن قلة الضرب بالعصا ، وضعيف العصا أى قليل الضرب للإبل بالعصا . وذلك مما يحمد به ..." (١).

ويبدو من كلام اللغويين الذى أورده لسان العرب حول الكنايتين (ضعيف العصا) و (صلب العصا) أن الشيخ قد تأثره وهو يتناول الكنايتين أنفسهما ، وأضفى عليه مسحة من جمال أسلوبه ، وسحر بيانه.

وإذا كان الشيخ عبد القاهر قد اعتبر الهدف من قول الشاعر (ضعيف العصا) وقول الآخر (صلب العصا) واحدا ، ووفق بينهما على أنهما لقائلين مختلفين ، فإننى وجدت الكنايتين كلتيهما لشاعر واحد، وفى بيت واحد وحتى لايبدو هذا الكلام كأنه ضرب من التعمية أو الإلباس، فإن بيت الراعى الذى سبق ذكره (ضعيف العصا..) قد ذكره صاحب لسان العرب فى موضع آخر برواية أخرى بدئ فيها البيت بقوله (صليب العصا..) فقال : " ... وقولهم فى الراعى صلب العصا، وصليب العصا، إنما يرون أنه يعنف بالإبل قال الراعى:

صليب العصا بادى العروق ترى له

عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا (٢)

---

(١) المصدر نفسه والموضع.

(٢) المصدر نفسه ٢٤٧٦/٤ (صلب).

ولما كان هذا يعتبر تناقضا نسب إلى الشاعر، فقد رجعت إلى ديوانه لأتبين أى الروايتين اللتين ذكرهما صاحب اللسان قالها الشاعر؟ وقد وجدت البيت فى الديوان [١] مبتدأ بقوله (ضعيف العصا..) كما فى الرواية التى جاءت فى أسرار البلاغة[٢] وفى بعض المواضع من لسان العرب - كما سبق - ويهون من هذا الأمر أن الغرض من الكنايتين واحد ، ثم إن اختلاف الرواية فى الشعر العربى أمر معهود، لاغرابة فيه ، ولا يستبعد أن تكون رواية (صليب العصا) قد جاءت فى إحدى نسخ الديوان المخطوطة، لم يطلع عليها محققه.

بقيت كلمة فيما نحن بسبيله حول شطر البيت الذى نقله الشيخ عبد القاهر عن شيخه - وقد سلف ذكره قريبا - وهو:

صلب العصا بالضرب قد دماهـــا

أى جعلها كالدمى فى الحسن كما قال الشيخ[٣] فقد عثرت على البيت كاملا فى لسان العرب [٤] وهو بتمامه:

صلب العصا بالضرب قد دماها يقول ليت الله قد أفناهـــــا

---

(١) ديوان الراعى النميرى /١٦٢ جمعه وحققه راينهرت ڤايپرت بيروت - ١٤٠١هـ ، دار النشر ڤرانتس .

(٢) أسرار البلاغة / ٢٨٣.

(٣) أسرار البلاغة /٢٨٣.

(٤) لسان العرب ٣٤٧٨/٥ (فنى).

وقد أورد صاحب اللسان لقوله (قد دماها) معنيين غير المعنى الذي ذكره الشيخ عبد القاهر أحدهما أنه سيل دمها بالضرب، لخلافها عليه والثاني أنه دماها أي كساها السمن كأنه دممها بالشحم؛ لأنه يرعيها كل ضرب من النبات.

وأورد لقوله (ليت الله قد أفناها) معنيين أيضا أحدهما أنه دعا عليها بالهلاك والفناء والثاني ليت الله قد أنبت لها الفنا، وهو عنب الذئب حتى تسمن وتغزر[1].

---

(١) ينظر المصدر نفسه والموضع.

المسببية

المسببية هي كون الشئ مسببا عن شئ آخر نحو أمطرت السماء نباتا [١] فإن النبات مسبب عن المطر ، والمطر سبب فى إنباته، ومثل قول الشاعر :

شربت الإثم حتى ضل عقلى　　　كذاك الإثم يذهب بالعقول

فقد أطلق الشاعر كلمة " الإثم " على الخمر ، لأنه ينشأ عنها [٢] من إطلاق المسبب على السبب، ويبدو أن القرينة هنا "شربت" لأن الإثم معنى من المعانى لايشرب ، وكأن الشاعر أحس أنه قد اقترف إثما عظيما ملأ عليه حسه ، وكيانه، وملك شعوره ، ووجدانه، فأومأ بهذا المجاز إلى أنه حين شرب الخمر ، كان يعب ذنوبا ، ويكرع عصيانا.

وقد تناول صاحب لسان العرب أمثلة هذه العلاقة على صور مختلفة :

إحداها : أنه قد أشار إلي أن التعبير بالمسبب عن السبب ضرب من التجوز ، وداخل فى نطاقه ، فقد ذكر فى أحد المواضع أن إطلاق القول على الاعتقادات ، والآراء تجوز ؛ لأنها سبب فيه ، فقد قال: " القول عند المحقق كل لفظ قال به اللسان .. فأما تجوزهم فى

---

(١) الرسالة البيانية ، للصبان / ١٩٧.

(٢) ينظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى،لابن حجر العسقلانى ٣٤/١٠.

تسميتهم الاعتقادات والآراء قولا ، فلأن الاعتقاد يخفى ، فلا يعرف إلا بالقول، أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال ، فلما كانت لاتظهر إلا بالقول، سميت قولا ؛ إذ كانت سببا له ، وكان القول دليلا عليها ، كما يسمى الشئ باسم غيره إذا كان ملابسا له" (١).

فالاعتقادات سبب في القول الذى يترجم عنها ، ويبرز المستكن منها ، والقول مسبب عنها ، فيقال -مثلا- فلان يقول برأى أهل السنة أى يعتقد معتقدهم ، وينهج نهجهم، وقوله (...كما يسمى الشئ باسم غيره إذا كان ملابسا له) دليل على أن إطلاق القول على الاعتقاد مجاز مرسل ؛ لأنه هو الذى يبنى على الملابسة، والارتباط بين المعني الحقيقى ، والمعنى المجازى للفظ، بعلاقة غير المشابهة.

ثانيتها: أنه صرح عند بعض أمثلتها بأنها اتساع فى اللغة ، فقد عرض لإطلاق الرزق علي المطر فى بعض الآيات القرآنية فقال "وقد يسمى المطر رزقا، وذلك قوله تعالى (وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها) (٢).

وقال تعالى (وفى السماء رزقكم وماتوعدون) (٣) قال مجاهد هو المطر . وهذا اتساع فى اللغة كما يقال التمر فى قعر القليب يعنى به

---

(١) لسان العرب ٥/٣٧٧٧ (قول).

(٢) الجاثية /٥.

(٣) الذاريات /٢٢.

سقى النخل" [١] فالرزق فى الآيتين يقصد منه المطر، لأنه الذى ينزل من السماء ، والرزق مسبب عنه ، ويؤكد ذلك المعنى قول صاحب الكشاف " وسمى المطر رزقا؛ لأنه سبب الرزق " [٢].

وواضح أن صاحب اللسان يريد بكلمة "اتساع" فى كلامه السابق المجاز؛ لأننى وجدته فى بعض المواضع يقرن كلمة المجاز بكلمة اتساع، ويعطفها عليها، مثل قوله " وقد يطلق الثيب على المرأة البالغة ، وإن كانت بكرا مجازا واتساعا" [٣] وهو فى هذا سائر على نهج بعض الأقدمين ، وحاذ حذوهم ، فقد كان (سيبويه) - رحمه الله - يسمى المجاز توسعا [٤].

وقد شبه صاحب اللسان إطلاق الرزق على المطر بإطلاق التمر علي الماء فى قوله (... كما يقال التمر فى قعر القليب) ومعلوم أن الذى فى قعر القليب هو الماء ، لا التمر ، وإنما سمى الماء تمرا ، لأن الماء سبب التمر ، وهو مسبب عنه، تسمية للسبب باسم المسبب.

ثالثتها: أنه قد يذكر أنه من الاكتفاء بالمسبب عن المسبب ، دون إشارة إلي أنه مجاز ، من ذلك ما أورده من إطلاق القراءة على

---

(١) لسان العرب ١٦٣٧/٣.

(٢) الكشاف ٤٣٦/٣ وينظر الكشاف أيضا ٢٩/٤ .

(٣) لسان العرب ٥٢٥/١ (ثيب).

(٤) نقلا عن الحقيقة والمجاز فى القرآن الكريم ، للدكتور على محمد حسن /٢٢.

إرادتها ، والقيام على إرادته في بعض آي الذكر الحكيم ، فقد قال في أحد المواضع: "... وضده - أي ضد إطلاق السبب على المسبب - قول الله تعالى : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) (١) أي فإذا أردت قراءة القرآن فاكتفى بالمسبب الذي هو القراءة من السبب الذي هو الإرادة، ونظيره قول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) (٢) أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة ..." (٣).

وغني عن البيان أن الاكتفاء بالمسبب في الآيتين ، وهو قراءة القرآن ، والقيام إلى الصلاة عن السبب ، وهو إرادة القراءة والقيام - مجاز مرسل علاقته المسببية.

وجدير بالذكر أن المجاز في الآيتين مشتهر شرود ، وقد أشار إليه من لاتحصى أسماؤهم من أهل العلم.

ومن قبيل هذا الضرب الذي ذكر أنه اكتفي فيه بالمسبب عن السبب قول الشاعر :

إذا تغنى الحمام الورق هيجني   ولو تعزيت عنها أم عمار

---

(١) النحل /٩٨.

(٢) المائدة /٦ .

(٣) لسان العرب ٥/ ٤٠٥٩ (لقح) .

فقد قال صاحب اللسان بعد أن أورد البيت " اكتفى فيه بالمسبب الذى هو التهييج من السبب الذى هو التذكير ؛ لأنه لما قال هيجنى دل على ذكرنى فنصبها به "(١).

فتغنى الحمام ذكر الشاعر صاحبته "أم عمار" فهاج شوقه إليها ، فأطلق الشاعر الفعل "هيج" على ذكر ، وبعبارة أخرى أطلق التهييج على التذكير؛ لأن تهيج الشوق مسبب عن التذكير بها.

وقد عثرت علي ماذكره صاحب لسان العرب حول المجاز فى البيت الذى تقدم ذكره موجودا بقضه وقضيضه فى كتاب الخصائص، لابن جنى ، فقد قال بعد أن ذكر البيت : " اكتفى فيه بالمسبب الذى هو التهيج من السبب الذى هو التذكير ؛ لأنه لما قال هيجنى دل على ذكرنى ، فنصبها به" (٢).

ولعل صاحب اللسان أخذ هذا الكلام من كتاب ابن جنى ، أو أخذه عن أحد اللغويين الذين أخذوا كلام ابن جنى ، وسطروه فى بطون كتبهم .

رابعتها: أنه كان أحيانا يشرح حقيقة المجاز، ويوضح كنهه بما يدل على أنه من إطلاق المسبب على السبب.

---

(١) المصدر نفسه ٤٧٣٣/٦ (هيج).

(٢) الخصائص ، لابن جنى ٤٢٥/٢.

من ذلك النوع ماذكره وهو يلقي الضوء علي معني الأثر فى قوله صلى الله عليه وسلم " من سره أن يبسط الله فى رزقه وينسأ فى أثره فليصل رحمه" (١).

فقد قال بعد أن أورد الحديث: "الأثر الأجل، وسمى به ؛ لأنه يتبع العمر .

قال زهير :

والمرء ماعاش ممدود له أمل لاينتهى العمر حتى ينتهى الأثر

وأصله من أثر مشيه فى الأرض، فإن من مات لايبقى له أثر ، ولايرى لأقدامه فى الأرض أثر ، ومنه قوله للذى مر بين يديه ، وهو يصلى : قطع صلاتنا قطع الله عليه أثره (٢) دعا عليه بالزمانة؛ لأنه إذا زمن انقطع مشيه فانقطع أثره" (٣).

فأثر الإنسان ، وحركته فى الحياة مسبب عن أجله، فإذا مات قامت قيامته ، وانقطع أثره ، فيكون فى (أثره) مجاز مرسل علاقته المسببية.

---

(١) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٢٣/١.

وينظر فتح البارى ٣٥٣/٤ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ٤٢٢/٥.

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٢٣/١.

وسنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب مايقطع الصلاة ١٨٨/١.

(٣) لسان العرب ٢٥/١ (أثر).

وقد اقتصر صاحب اللسان تبعا لابن الأثير [١] على رأى واحد فى معني (الأثر) فى دعاء النبى -صلى الله عليه وسلم- علي ذلك الرجل ، لكن ابن الأثير صاحب المثل السائر ذكر رأيين آخرين لمعنى قطع أثر هذا الرجل المشرك فقال: "ومن ذلك - أى من الاكتفاء بالمسبب عن السبب- ماورد فى الأدعية النبوية ، فإنه صلى الله عليه وسلم دعا على رجل من المشركين فقال اللهم اقطع أثره ، وهذا يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل **الأول** أنه دعا عليه بالزمانة؛ لأنه إذا زمن لايستطيع أن يمشى على الأرض، فينقطع حينئذ أثره **الوجه الثانى** أنه دعا عليه بألا يكون له نسل من بعده، ولاعقب ، **الوجه الثالث** أنه دعا عليه بألا يكون له أثر من الآثار مطلقا ، وهو ألا يفعل فعلا يبقى أثره من بعده كائنا ماكان من عقب أو بناء ، أو غراس ، أو غير ذلك" [٢] ،وقد روى أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم قد أصابت ذلك الرجل فأقعد ، ولم يستطع بعدها حراكا [٣].

ومن هذا الشكل الذى يدل شرحه له على أنه مجاز مرسل من قبيل علاقة المسببية ماذكره صاحب لسان العرب فى مادة (قرمط) عندما قال: " القرمطيط المتقارب الخطو ، وقرمط فى خطوة إذا قارب

---

(١) ينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٢٣/١.

(٢) المثل السائر ٨١/١-٨٢.

(٣) ينظر سنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب مايقطع الصلاة ١٨٨/١.

مابين قدميه، وفى حديث معاوية أنه قال لعمرو قرمطت؟ قال لا، يريد أكبرت؟ لأن القرمطة في الخطو من آثار الكبر " (١).

واضح أن القرمطة أى تقارب الخطو مسبب، سببه الكبر، وتقدم السن فيكون إطلاق القرمطة علي الكبر مجازا مرسلا علاقته المسببية.

وعلى شاكلة هذا النوع أيضا ماذكره من إطلاق الموت علي أسبابه في قوله تعالى: "..ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت"(٢) فقد قال إن "معناه - والله أعلم - أسباب الموت، إذ لو جاءه الموت نفسه، لمات به لامحالة"(٣).

واضح أن الموت في الآية ليس مرادا به الموت الحقيقي، كما ينطق بذلك قوله تعالى (وما هو بميت) وإنما المراد به أسباب الموت، المؤدية إليه، فأطلق فى الآية الموت علي أسبابه، إطلاقا للمسبب علي سببه، وقد ألمح إلى ذلك صاحب الكشاف عندما قال فى تفسير الآية التى نحن بصددها "كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه، وأحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام"(٤).

---

(١) لسان العرب ٣٦٠٦/٥ (قرمط).

(٢) ابراهيم / ١٧.

(٣) المصدر نفسه ٤٢٩٥/٦ (موت).

(٤) الكشاف ٢٩٧/٢.

الآليـــة

هى كون الشئ واسطة فى إيصال أثر المؤثر إلى المتأثر نحو قوله تعالى : " واجعل لى لسان صدق فى الآخرين" [١] أى ذكرا صادقا وثناء حسنا [٢].

وقد جاء تناول هذه العلاقة فى لسان العرب على صورتين:

إحداهما : أن يصرح بأن إطلاق اسم الآلة على أثرها مجاز ، فقد جاء فى بعض المواضع "ودف الإناء قطر ، والودفة الشحمة ، وودف الشحم ونحوه يدف سال ، وقطر ... والأداف الذكر لقطرانه، وفى الحديث فى الأداف الدية [٣] قال ابن الأثير سماه بما يقطر منه مجازا..." [٤].

واضح من كلام لسان العرب الذى نقل ابن الأثير أن الذكر سمى أدافا باسم مايقطر منه على سبيل المجاز ، وغنى عن البيان أنه أداة القطر، أو آلته، وهذا يندرج تحت ماعناه البلاغيون بعلاقة الآلية.

---

(١) الشعراء /٨٤ .

(٢) الرسالة البيانية للصبان /١٩٧.

(٣) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٣١/١.

وفى كتاب غريب الحديث ، لابن الجوزى ١٥/١ تعليق الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان ط أولى ١٤٠٥ هـ .

(٤) لسان العرب ٤٧٩٩/٦ (ودف).

وينظر كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٣١/١.

ثانيتهما: أن يدل شرحه وتوضيحه لبعض أمثلة هذه العلاقة علي حقيقتها دون تصريح بمجاز ، أو نحوه ، من ذلك ماذكره حول أشهر مثال لهذه العلاقة، وهو ماجاء في قوله تعالى : " واجعل لى لسان صدق فى الآخرين" [١].

فقد أورده ثم أتبعه بقوله :"... معناه اجعل لى ثناء حسنا باقيا إلى آخر الدهر"[٢] ، ففسر اللسان ، وهو آلة الكلام بالثناء الحسن، والقول الطيب الجميل، وفى ذلك إيماء إلى علاقة الآلية.

وقد ساق صاحب اللسان من كلام الشعراء ، واللغويين مايدل على أن لفظ اللسان مذكر ، وقد يؤنث إذا نقل من معني العضو والجارحة إلى معني الكلمة ، أو اللغة ، أو الرسالة فقال : " اللسان جارحة الكلام وقد يكنى بها [٣] عن الكلمة فيؤنث حينئذ قال أعشى باهلة :

إنى أتتنى لسان لا أسر بها ... من علو لاعجب منها ولاسخر

قال ابن برى اللسان هنا الرسالة والمقالة ومثله :

إنى أتتنى لسان بنى عامر ... أحاديثها بعد قول نكـــر

قال -أي ابن برى - وقد يذكر على معنى الكلام قال الحطيئة :

ندمت على لسان فات منى ... فليت بأنه فى جوف عكـــم

---

(١) الشعراء /٨٤.

(٢) المصدر نفسه ٤٠٣٠/٥ (لسن).

(٣) سيأتى إن شاء الله الحديث عن إطلاق الكناية على المجاز المرسل.

... وإن أردت باللسان اللغة أنثت يقال فلان يتكلم بلسان قومه قال اللحياني اللسان في الكلام يذكر ويؤنث يقال إن لسان الناس عليك لحسنة وحسن أي ثناؤهم ... وقوله عز وجل (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) (١) أي بلغة قومه ..." (٢).

فإطلاق اللسان علي الرسالة، أو المقالة ، أو اللغة من إطلاق الآلة على أثرها ، وذلك مجاز مرسل علاقته الآلية.

والقول بأن اللسان في قول أعشى باهلة (... أتتني لسان لا أسر بها) يراد به المقالة ، أو الرسالة هو الجدير بالقبول ؛ لأنه يستبعد أن يراد به الكلمة الواحدة ؛ لأنها لاتسر ، ولا تحزن اللهم إلا أن يكون قد أريد بها الكلمات مجازا مرسلا علاقته الجزئية-كما سيأتي بيانه - ومثل ذلك ماذكره صاحب لسان العرب في مادة (شفة) فقد ذكر أن الشفة تطلق علي الثناء الحسن فقال :

" ... وماكلمته ببنت شفة أي بكلمة ، وفلان خفيف الشفة أي قليل السؤال للناس ، وله في الناس شفة حسنة أي ثناء حسن وقال اللحياني إن شفة الناس عليك لحسنة أي ثناءهم عليك حسن وذكرهم لك ..." (٣).

فإطلاق الشفة وهي من أعضاء النطق على السؤال ، أو الثناء الجميل مجاز مرسل علاقته الآلية ، لأنها آلة من آلاته مثل اللسان .

---

(١) ابراهيم /٤.

(٢) لسان العرب ٤٠٢٩/٥ ، ٤٠٣٠ (لسن).

(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢٢٩٤ (شفة).

وعلى ذلك فإنه من الممكن أن يدعو داع ربه محاكيا نبى الله إبراهيم عليه السلام - فيقول اللهم اجعل لى شفة حسنة بين الناس أى ثناء حسنا ، وذكرا جميلا.

ومثل ذلك ماذكره من إطلاق الفوّهة ، وهى الفم على القالة، والغيبة، فقد قال فى أحد المواضع: " ... وفاه بالكلام يفوه نطق ، ولفظ به ... ورجل مفوه قادر علي المنطق ، والكلام، وكذلك فيّه ، ورجل فيّه جيد الكلام ، والمفوه المنطيق .. وإنه لذو فوهة أى شديد الكلام ، بسيط اللسان ... وقولهم إن رد الفوهة لشديد أى القالة ، وهو من فهت بالكلام ، ويقال هو يخاف فوهة الناس أى قالتهم ، والفوهة تقطيع المسلمين بعضهم بعضا بالغيبة ، ويقال من ذا يطيق رد الفوهة ..." (١).

فإطلاق الفوهة أى الفم على القالة ، أو الغيبة ، أو بعبارة أخرى إطلاق الفم على الكلام مجاز مرسل علاقته الآلية.

---

(١) لسان العرب ٥/٣٤٩٤ -٣٤٩٥ (فوه).

المجــاورة

هى كــون الشئ مــجــاورا لشئ آخــر فى مكانه ... [1] فــإطلاق الشئ على ما يجاوره مجاز مرسل؛ لأن العلاقة فيه غير المشابهة.

وقـد تناول صـاحب لسـان العـرب أمـثلة هذه العـلاقـة فى أمـاكن من كتابه وجاء تناوله لها على عدة وجوه :

أحدها : أن يصـرح بكلمـة المجـاورة نفسـهـا، ويذكـر أن إطلاق الشئ على ما يجاوره مجاز فقد قال في مادة (ربد):

"... وربد الإبل يربدها ربدا حبسها، والمربد محبسها ...والمربد الموضع الذى تحـبس فـيـه الإبل وغـيـرها ... ومـربد البـصـرة من ذلك سمي؛ لأنهم كانوا يحبسون فيه الإبل، وقول الفرزدق:

عشية سال المربــدان كلاهمـــا   عجاجة مــوت بالسيــوف الصــوارم

فـإنه سـمـاه مـجـازا لما يتـصـل به من مـجـاوره، ثم إنه مع ذلك أكده، وإن كان مجازا، وقد يجوز أن يكون سمى كل واحد من جانبيه مــربدا ... وقــال الجـوهرى فى بيت الفــرزدق إنه عنى به سكة المربد بالبصرة، والسكة التى تليها من ناحية بنى تميم ..." [2].

فـمـربد البـصـرة واحـد، وقـد سـمى الفـرزدق المكان الذى يجـاوره مربدا مـجـازا فـصـارا مربدين، أو أنه سمى كل واحد من جـانبيـه مـربدا لمجـاورتهـمـا له، أو سمي سكتى المربد مربدين لـكونهـمـا مـجـاورتين له أيضا.

---

(١) ينظر الرسالة البيانية، للصبان/٢٤١ مع حاشية الإنبابى عليها.

(٢) لسان العرب ٢/١٥٥٥، ١٥٥٦ (ربد).

وقد وجدت بعض كلام صاحب لسان العرب حول بيت الفرزدق مأخوذا عن ابن جنى فقد ذكر أن العرب وكّدت المجاز، كما وكدت الحقيقة "وذلك قول الفرزدق:

عشية سال المربدان كلاهما ... سحابة موت بالسيوف الصوارم(١)

وإنما هو مربد واحد فثناه مجازا؛ لما يتصل به من مجاوره، ثم إنه مع ذلك وكده وإن كان مجازا، وقد يجوز أن يكون سمى كل واحد من جانبيه مربدا" (٢).

وقد غير صاحب لسان العرب قول ابن جنى (فثناه مجازا...) إلى (سماه مجازا) وتعبير ابن جنى هو الملائم لسياق الكلام بعده، ولعل ذلك سهو، أو خطأ من نساخ لسان العرب.

ثانيها: أن يذكر كلمة المجاز مطلقة على ما يعتبر من قبيل المجاورة دون أن يصرح بكلمة المجاورة نفسها فقد ذكر أن كلمة (ثلة) بفتح الثاء تطلق على جماعة الغنم، وتطلق على الصوف مجازا فقال: "الثلة جماعة الغنم، وأصوافها ابن سيده الثلة جماعة الغنم قليلة كانت، أو كثيرة... وفى حديث معاوية لم تكن أمة براعية ثلة

---

(١) فى رواية ابن جنى للبيت كلمة (سحابة) بدل (عجاجة) وقد ذكر محقق كتاب (الخصائص) أن كلمة (عجاجة) موجودة بإحدى نسخ الكتاب، ورواية لسان العرب هى الموافقة لما فى ديوان الفرزدق جـ٢ ص ٣١٩ دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ.

(٢) الخصائص، لابن جنى ٢/٤٥٣.

... عن ابن دريد يقال كساء جيد الثلة أى الصوف، وحبل ثلة أى صوف... وفى حديث الحسن إذا كان لليتيم ماشية، فللوصى أن يصيب من ثلتها، ورسلها، أى من صوفها، ولبنها قال ابن الأثير سمى الصوف بالثلة مجازا"(١).

وقد اكتفى صاحب اللسان بإيراد كلمة (مجاز) دون أن يصرح، أو يلمح إلى نوع العلاقة فيه، ويمكن لمن ينعم النظر فيه أن يعتبر العلاقة فيه السببية؛ لأن الغنم سبب فى الصوف، أو المجاورة؛ لأنه مجاور لها، لصيق بها، ويقوى هذا الاتجاه الأخير، ويعضده أن الزمخشرى قد جعل تسمية الصوف ثلة مساوية لتسمية المطر سماء حين قال :"الثلة جماعة الغنم، والثلة جماعة الناس قال :

آليت بالله ربى لا أسالمهم　　حتى يسالم رب الثلة الذيب

وبنو فلان مثلون أصحاب غنم، وكساء جيد الثلة أى الصوف، سمى باسم ما هو منه كتسمية المطر بالسماء"(٢)

وعلى ذلك يكون إطلاق الثلة على الصوف مجازا مرسلا علاقته المجاورة.

ثالثها : أن ينظّر اللفظ الذى جاء فيه المجاز بلفظ آخر اشتهرت مجازيته على سبيل علاقة المجاورة، فقد ذكر أن كلمة (السفرة) فى الأصل اسم للطعام الذي يتخذه المسافر، وقد نقل اسمها

---

(١) لسان العرب ١/٥٠١ (ثلل)

(٢) أساس البلاغة (ثلل)

إلى الجلد الذى يحمل فيه هذا الطعام كما سميت المزادة راوية يقول في هذا الشأن :"والسفرة (بالضم) طعام يتخذ للمسافر، وبه سميت سفرة الجلد.

وفى حديث زيد بن حارثة قال ذبحنا شاة فجعلناها سفرتنا ، أو في سفرتنا [١] السفرة طعام يتخذه المسافر، وأكثر ما يحمل فى جلد مستدير، فنقل اسم الطعام إليه، وسمى به كما سميت المزادة راوية، وغير ذلك من الأسماء المنقولة، وفى حديث عائشة صنعنا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولأبي بكر سفرة فى جراب[٢] أى طعاما لما هاجر هو وأبو بكر - رضى الله عنه-" [٣].

فكلمة السفرة نقلت من معناها الأصلى، وهو الطعام الذى يتخذه المسافر إلى الجلد الذى يحمل فيه ذلك الطعام؛ لعلاقة المجاورة، كما سميت المزادة راوية.

فنجده قد نظّر إطلاق السفرة على الجلد بإطلاق الراوية على المزادة "والراوية البعير الذى يسقى عليه الماء، فسمى الوعاء الذي يحمله باسمه" [٤] ولعل كلمة السفرة بمعنى الخوان، أو المائدة التى يستعملها الناس فى كلامهم مأخوذة من هذا ، فهم يقولون أكلنا على

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٣٧٣/٢.

(٢) المصدر نفسه والموضع.

(٣) لسان العرب ٢٠٢٤/٣ - ٢٠٢٥ (سفر)

والنهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٣٧٣/٢.

(٤) الموازنة ، للآمدى ٢٤/٢٣.

السفرة أي الخوان؛ لأن الطعام يوضع فوقه، وإن كان صاحب اللسان قد نقل عن بعضهم أن "السفرة التى يؤكل عليها سميت سفرة؛ لأنها تبسط إذا أكل عليها"(١)

ومن هذا النوع الذى نظّر ما فيه مجاز مرسل بإطلاق الراوية على المزادة ما ذكره فى أحد المواضع، وبين فيه أن (الحقو) يطلق على الإزار؛ لأنه يشد على الحقو، وهو الخصر(٢) فقد قال: "والحَقْوُ، والحِقْوُ، والحَقْوَةُ، والحِقاءُ كله الإزار، سمى بما يلاث عليه... وروى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه أعطى النساء اللاتى غسلن ابنته حين ماتت حقوة، وقال أشعرنيها إياه(٣) قال ابن برى الأصل في الحقو معقد الإزار، ثم سمى الإزار حقوا، لأنه يشد على الحقو، كما تسمى المزادة راوية؛ لأنها على الراوية، وهو الجمل، وفى حديث عمر رضى الله عنه لا تزهدن في جفاء الحقو أى لا تزهدن في تغليظ الإزار وثخانته؛ ليكون أستر لكن"(٤).

وقد سمى الإزار حقوا، باسم الموضع الذى يشد عليه من جسم الإنسان، لمجاورته له، على سبيل المجاز المرسل كما تسمى المزادة راوية.

---

(١) لسان العرب ٣/٢٠٢٥ (سفر).

(٢) المصدر نفسه ٢/٩٤٨ (حقا).

(٣) وينظر صحيح مسلم بشرح النووى ٢/٦٠٠.
وفتح البارى ٣/١٥٠ وما بعدها.

(٤) لسان العرب ٢/٩٤٨ (حقا).

ومما هو بسبيل من ذلك أيضا ما ذكره صاحب اللسان من أن الإزار يسمى حجزة باسم الموضع الذى يشد عليه للمجاورة أيضا، فقد أورد فى أحد المواضع أن "أصل الحجزة موضع شد الإزار قال - أى ابن الأثير - ثم قيل للإزار حجزة للمجاورة"(١).

ويقال تحاجز القوم أخذ بعضهم بحجز بعض(٢) وقد عد الزمخشرى من المجاز قولهم وهذا كلام آخذ بعضه بحجزة بعض أى متناظم منسق(٣) وواضح أن إطلاق الحجزة على الإزار نفسه مجاز مرسل علاقته المجاورة، ويؤيد ذلك ما نقله صاحب لسان العرب من أن عائشة رضى الله عنها قال : "لما نزلت سورة النور عمدن إلى حجز مناطقهن فشققنها فاتخذنها خمرا"(٤) ثم قال صاحب اللسان "أرادت بالحجز المآزر".

فنجدها - رضى الله عنها قد سمت المآزر حجزا باسم المواضع التى عقدت عليها، لمجاورتها لها، وغنى عن البيان أن الحجز أى خواصر الناس لا تشق، ولا تتخذ خمرا تضرب على جيوب النساء.

وقد نظّر صاحب لسان العرب بالمزادة والراوية أيضا حين أطلق العسب، وهو طرق الفحل وضرابه على كراء ذلك الضراب فقال :"وفى حديث أبى معاذ كنت رجلا تياسا فقال لي البراء بن عازب لا يحل

---

(١) المصدر نفسه ٧٨٦/٢ (حجز).

(٢) المصدر نفسه والموضع.

(٣) أساس البلاغة (حجز)

(٤) لسان العرب ٧٨٦/٢ (حجز).

لك عسب الفحل، وقال أبو عبيد معنى العسب فى الحديث الكراء والأصل فيه الضراب، والعرب تسمى الشئ باسم غيره إذا كان معه أو من سببه كما قالوا للمزادة راوية، وإنما الراوية البعير الذى يستقى عليه" (١).

فالعسب فى الأصل هو الضراب، ثم أطلق على أجرته وكرائه؛ لأن أخذ الكراء مصاحب للضراب، قريب منه، مقترن به.

وقوله (والعرب تسمي الشئ باسم غيره إذا كان معه...) صريح فى علاقة المجاورة، فالمعية المذكورة تنبئ بالاقتران، والمصاحبة.

ولذلك كان إطلاق العسب على كرائه مساويا ومناظرا لإطلاق الراوية على المزادة.

وقد بدا لي من النظرة في هذا المثال أن المجاورة ليست مقصورة على المجاورة المكانية، بل يمكن أن تكون زمانية أيضا، فالكراء ليس مجاورا للضراب حيثما كان، وأنى وجد، بل يمكن أن يحصل فى مكان، وتؤخذ أجرته في مكان آخر فى زمن متقارب، اللهم إلا أن تكون عادة العرب قد جرت على أخذ الكراء فى موضع الضراب دون تأخير أو إبطاء.

---

(١) لسان العرب ٢٩٣٦/٤ (عسب).

وينظر فتح البارى ٥٣٩/٤

رابعها : أن يذكر أن الشئ قد يسمى باسم الشئ لقربه منه، ويعنى بهذا القرب المجاورة كما تشير إلى ذلك الأمثلة التى ذكرها، فقد جعل إطلاق اسم الظعينة على الجمل الذى يظعن عليه، وعلى الهودج علي سبيل الحقيقة، ثم جعل من المجاز إطلاق الظعينة على المرأة في الهودج لمجاورتها له عندما قال :"والظعينة الجمل يظعن عليه، والظعينة الهودج تكون فيه المرأة، وقيل هو الهودج كانت فيه المرأة، أو لم تكن، والظعينة المرأة فى الهودج سميت به على حد تسمية الشئ باسم الشئ لقربه منه.."(١) فيكون إطلاق الظعينة على المرأة مجازا مرسلا علاقته المجاورة؛ لأنها تكون فى الظعينة أى الهودج، أو لأنها تركب الجمل الذى هو ظعينة(٢).

ويبدو أن وجهة اللغويين لم تتفق حول هذا المجاز، فقد أورد صاحب لسان العرب ما يفيد عكس ما ذكره آنفا، فنقل عن ابن الإنبارى أن "الأصل في الظعينة المرأة تكون فى هودجها، ثم كثر ذلك حتى سموا زوجة الرجل ظعينة... وفى حديث حنين فإذا بهوازن على بكرة آبائهم بظعنهم، وشاتهم، ونعمهم الظعن النساء واحدتها ظعينة..."(٣).

ويكاد إجماع اللغويين الذى أورد صاحب اللسان كلامهم فى هذا الموضع- ينعقد على أن إطلاق الظعينة على المرأة مجاز؛ لأنها تركب الجمل، أو تكون فى الهودج وعلى ذلك يكون قول الشيخ

---

(١) لسان العرب ٢٧٤٨/٤ (ظعن).

(٢) ينظر المصدر نفسه والموضع.

(٣) المصدر نفسه والموضع.

عبد القاهر الجرجاني: "وأن الظعينة أصلها المرأة في الهودج، ثم صار البعير والهودج ظعينة"(١) مستندا إلى قول فردى هو قول ابن الإنبارى الذى أورده صاحب لسان العرب.

- بين المزادة والراوية -

رأينا فيما سلف من حديث علاقة المجاورة ترداد كلمتى الراوية والمزادة فى كلام أهل العلم، وقياس بعض أمثلة هذه العلاقة عليهما، واعتبارهما أصلا يقاس عليه فى هذا الصدد، وقد وجدت أن من النافع المفيد أن ألقى عليهما بعض الضوء، ليكون معناهما بينا واضحا، لا لبس فيه، ولا غموض، ولبيان أمر المجاز فيهما، أما المزادة، فقد ذكر صاحب لسان العرب فى أحد المواضع أنها الراوية، ونقل عن بعض اللغويين أنها " لا تكون إلا من جلدين تفأم بجلد ثالث لتتسع ... والجمع المزاد والمزايد"(٢).

فالمزادة هي الوعاء أو الظرف الذى يحمل فيه الماء(٣) كالقربة وغيرها، ولم أجد أحدا من العلماء قد خالف فى ذلك - على قدر علمي - إلا سعد الدين التفتازانى، نقد فسر المزادة بالمزود الـــذى

---

(١) أسرار البلاغة /٣٢١.

(٢) لسان العرب ١٨٩٧/٣ (زيد)

(٣) ينظر - مثلا - النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٤/ ٣٢٤.

يجعل فيه الزاد أى طعام السفر[١] وهذا تفسير غير صحيح[٢] أما الراوية، فقد رأينا فيما سبق أن صاحب لسان العرب قد ذكر في عدة مواضع أنها البعير الذى يستقى عليه[٣] وسميت المزادة راوية لمجاورتها للبعير الذى يحملها ،وعلى ذلك فالراوية أصل فى البعير مجاز فى المزادة.

ومع أن صاحب اللسان كرر هذا المعنى عدة مرات إلا أنه نقل فى بعض المواضع عن ابن سيده أن الراوية أصل في المزادة مجاز في البعير فقال :"...ابن سيدة والراوية المزادة فيها الماء، ويسمى البعير راوية على تسمية الشئ باسم غيره لقربه منه ..."[٤].

وقد سار الإمام العلوى على القول بأن الراوية أصل فى المزادة مجاز فى البعير، فجعل المجاورة كنقل اسم الراوية من ظرف الماء إلى ما يحمل عليه من الجمل وغيره[٥].

ويبدو أن هذا قول مغمور عند العلماء، ولذلك أشار إليه ابن الأثير بصيغة التضعيف (قيل) فقد ذكر ان "الروايا من الإبل الحوامل للماء واحدتها راوية... ومنه سميت المزادة راوية، وقيل بالعكس"[٦]

---

(١) المطول/٣٥٥، والمختصر ٣٤/٤ شروح التلخيص.
(٢) حاشية السيد الشريف على المطول /٣٥٥ علي هامش المطول.
(٣) لسان العرب ٢٠٢٥/٣ (سفر).
٢٩٣٦/٤ (عسب) ٩٤٨/٢ (حقا)
(٤) المصدر نفسه ١٧٨٤/٣ (روى).
(٥) الطراز ٧٢/١.
(٦) النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير /٢٧٩/٢.

وقد أورد صاحب لسان العرب شواهد على استعمال العرب الراوية في البعير والمزادة، فمن استعمالها بمعنى البعير قول أبى النجم :

تمشى من الردة مشى الحفل مشى الروايا بالمزاد الأثقل

ومن استعمالها بمعنى المزادة قول عمرو بن ملقط :

ذاك سنان محلب نصره كالجمل الأوطف بالراوية

والذى أميل إليه، وهو ما عليه الكثير من العلماء أن الراوية أصل فى البعير مجاز فى المزادة، والذى يرجح ذلك أن العرب استعارت الراوية لمن يحمل الأثقال من الرجال مثل قول الشاعر :

ولنا روايا يحملون لنا أثقالنا إذ يكره الحمل

يعنى به الرجال الذين يحملون لهم الديات شبه السيد الذى تحمل الديات عن الحى بالبعير الراوية (١).

فاستعارة الراوية بمعنى البعير للرجل الذى تحمل الديات يدل على أن كلمة الراوية متأصلة فى تلك الدلالة، مستقرة في عرفهم اللغوى، حتى ساغ لهم استعارتها لمن يحمل الأثقال من الناس، ومعلوم أن الإبل كانت تحمل الأثقال التى لا يستطيع حيوان آخر حملها، ومنها المزايد التى تمتلئ بالماء خصوصا عند اجتماع الجم

---

(١) ينظر لسان العرب ٣/١٧٨٤- ١٧٨٥ (روى)

الغـفـيـر من الناس كـمـا فى أيام الحج، ولذلك كـان الجـمل جـديرا بأن يسمي راوية.

وقد سـار الشيـخ عبد القـاهر الجرجانى على هذا القول الشـهـير، فـذكـر أنهم سـمـوا المزادة راوية، وهي اسم البـعـيـر الذى يحـملهـا فى الأصل[1] وإذا كان العرب قد سموا المزادة راوية باسم البعير حاملها، لمجاورتها له، فإنهم قد فعلوا عكس ذلك عندما سموا البعير الحامل لمتاع البيت الردئ حفضا باسم ذلك المتاع الذى يحمله، وقد أومأ إلى ذلك صاحب لسان العـرب دون أن يذكر لفظ المجاز، أو المجاورة، أو شـيـئـا من هذا القـبـيـل، فـقـد قـال فى بعض المواضع :"... والحـفـض البيـت، وقـيـل مـتـاع البيت إذا هيئ للحـمـل قـال ابن الأعـرابى الحفض قـمـاش البيـت، وردئ المتـاع، ورذاله والذي يحمل ذلك عليه من الإبل حـفض، ولا يكاد يكون ذلك إلا رذال الإبل، ومنه سـمى البـعـيـر الذى يحمله حفضا به، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

ونحن إذا عماد الحـــى خـــرّت على الأحفاض نمنع ما يلينـــا

قـــال الأزهرى وهى ههنا الإبل، وإنما هي مـــا عليـــهـــا من الأحمال.."[2] فـسـمي البـعـيـر حـفـضـا، والإبل أحـفـاضـا باسم المتـاع المحـمـول، تـسـمـيـة للشئ باسم مـا يجـاوره على سـبـيل المجاز المرسل، وقـول الأزهرى : (وإنما هى ما عليها من الأحمال) يعنى أن الأحفاض هى الأحمال التى تحملها الإبل باعتبار الأصل، ثم نقلت إلى الإبـل

---

(١) أسرار البلاغة /٣١٧-٣١٨.

(٢) لسان العرب ٩٢٨/٢ (حفض).

نفسها مجازا، وهذا موافق لما قاله الشيخ عبد القاهر الجرجانى من أنهم سموا "البعير حفضا وهو اسم لمتاع البيت الذى يحمل عليه"(١).

وقد ذكر صاحب اللسان عقب كلامه المتقدم أن البيت له روايتان (على الأحفاض) و (عن الأحفاض) فمن قال (عن الأحفاض) عنى الإبل التي تحمل المتاع، ومن قال (على الأحفاض) عنى الأمتعة(٢).

وإذا نظرنا إلي هاتين الروايتين نجد أن الذى يتلاءم مع السياق، والحديث عن المجاورة رواية (عن الأحفاض).

وكان ينبغى أن يورد صاحب لسان العرب البيت بهذه الرواية حتى يكون كلامه متناسبا ومتسقا مع سياقه؛ لأنه ساق البيت شاهدا على أن البعير سمى حفضا باسم ما يحمله من الأمتعة.

وقد رجعت إلى معلقة عمرو بن كلثوم فوجدت البيت مذكورا فيها برواية (عن الأحفاض) (٣)

وقال شارح المعلقة :"من روى البيت (علي الأحفاض) أراد بها الأمتعة، ومن روى (عن الأحفاض) أراد بها الإبل. (٤) وهو فى ذلك متفق مع ما ذكره صاحب اللسان، وقد زاد هذا الشارح معني البيت توضيحا فقال :

---

(١) أسرار البلاغة /٣١٨.

(٢) لسان العرب ٩٢٨/٢ (بتصرف).

(٣) شرح المعلقات السبع، للزوزنى /١٤٩.

(٤) المرجع نفسه والموضع.

"يقـول - أى الشـاعـر - ونحن إذا قـوضت الخـيـام فـخـرت على أمتعتها نمنع، ونحمى من يقرب منا من جيراننا ، أو نحن إذا سقطت الخـيـام عـن الإبل للإسراع فى الهـرب نمنع، ونحـمى جيـراننا إذا هرب غيرنا حمينا غيرنا"[1].

---

(١) شرح المعلقات السبع، للزوزنى /١٤٩.

اعتبار ما كان

وهو تسمية الشئ باسمه الذى كان عليه في الزمان الماضى(١) كما فى قوله تعالي :"إنه من يأت ربه مجرما" (٢) سماه الله مجرما يوم القيامة باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجرام(٣)

وقد تمثل تناول لسان العرب لهذه العلاقة فى صورتين :

إحداهما : أن يصرح بأن ما جاء من سبيلها مجاز، فقد جاء فيه وهو يعالج قوله تعالى "وآتوا اليتامى أموالهم"(٤) "... أى أعطوهم أموالهم إذا آنستم منهم رشدا، وسموا يتامى بعد أن أونس منهم الرشد بالاسم الأول الذى كان لهم قبل إيناسه..."(٥)

وقبل أن أمضى مع كلامه حول المجاز فى هذه الآية أود أن أنبه إلى أنه قد يتبادر إلى الذهن من قول لسان العرب (وسموا يتامى بعد أن أونس منهم الرشد بالاسم الأول)- أن إيناس الرشد يعتد به في دفع أموال اليتامى إليهم، ولو كان ذلك قبل البلوغ، والواقع أن هذا الإيناس لا يعتد به إلا إذا كان بعد البلوغ كما هو ظاهر من قوله تعالى :"وابتلوا اليتامى حتي إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم"(٦).

---

(١) ينظر مختصر السعد ٤/ ٤٠ شروح التلخيص.

(٢) طه /٧٤.

(٣) ينظر البرهان فى علوم القرآن ، للزركشى ٢/ ٢٨٠.

(٤) النساء /٢.

(٥) لسان العرب ٦/٤٩٤٩ (يتم).

(٦) النساء /٦.

ولعله من أجل ذلك قرر الإمام القرطبي "أن دفع المال - إلي اليتامى - يكون بشرطين إيناس الرشد والبلوغ، فإن وجد أحدهما دون الآخر، لم يجز تسليم المال كذلك نص الآية"(١).

ويتابع لسان العرب حديثه حول (اليتامى) في الآية المعهودة قائلا :"... واليتم في الناس فقد الصبي أباه قبل البلوغ، وفي الدواب فقد الأم، وأصل اليتم الانفراد ... والأنثى يتيمة، وإذا بلغا زال عنهما اسم اليتم حقيقة، وقد يطلق عليهما مجازا بعد البلوغ كما كانوا يسمون النبي صلى الله عليه وسلم وهو كبير يتيم أبي طالب؛ لأنه رباه بعد موت أبيه..."(٢).

فإطلاق اليتم على الكبير البالغ مجاز؛ لأن حقيقته أن يطلق على من دون البلوغ، وقد جاء في لسان العرب عقب الكلام السابق أن اسم اليتم يطلق على المرأة البالغة مجازا فقال :"وفي الحديث تستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فهو إذنها (٣) أراد باليتيمة البكر البالغة التي مات أبوها قبل بلوغها، فلزمها اسم اليتم فدعيت به، وهي بالغة مجازا"(٤).

فتصريح صاحب لسان العرب، وهو إمام من أئمة اللغة وينقل عن أئمتها بأن إطلاق اليتامى علي البالغين، واليتيمة على البالغة

---

(١) تفسير القرطبي ١٦٠٨ ط الشعب.

(٢) لسان العرب ٤٩٤٩/٦ (يتم).

(٣) الحديث في كتاب غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢٩٢/٥.

(٤) لسان العرب ٤٩٤٩/٦ (يتم).

مجاز يدحض القول الذى حكاه صاحب الرسالة البيانية ومحشيه ومؤداه أن إطلاق اليتامى على البالغين حقيقة لأنه "وارد على أصل اللغة فإن اليتيم مشتق من اليتم وهو الانفراد، فالاشتقاق يقتضى جواز إطلاقه على كل من مات أبوه صغيرا كان أو كبيرا؛ لتحقق الانفرادعن الأب فيهما"[١].

وقد أشار إلى هذا القول بعض البلاغيين، واعتبره مخالفا لما عليه الجمهور[٢] وأومأ إليه الإمام الزركشى فى برهانه أيضا[٣].

ثانيتهما : أنه كان أحيانا يذكر أن تسمية الشئ باسمه الذي كان عليه فى الماضى اتساع، فقد قال :"... السِّبْت بالكسر كل جلد مدبوغ... وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يمشى بين القبور فى نعليه فقال :يا صاحب السبتين اخلع سبتيك[٤]... قال الأزهرى كأنها سميت سبتية؛ لأن شعرها قد سبت عنها أى حلق وأزيل بعلاج من الدباغ معلوم عند دباغيها... وفى تسمية النعل

---

(١) حاشية الإنبابى على الرسالة البيانية /٢٢٧ وينظر الرسالة البيانية في الصفحة نفسها.

(٢) ينظر مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لابن يعقوب المغربى ٤/ ٤٠ وحاشية الدسوقى٤/ ٤٠ شروح التلخيص.

(٣) ينظر البرهان فى علوم القرآن ٢/ ٢٨٠.

(٤) الحديث فى كتاب غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢/ ٣٣٠.

المتخذة من السبت سبتا اتساع مثل قولهم فلان يلبس الصوف والقطن والإبريسم أى الثياب المتخذة منها"(١). فقد استعمل كلمة اتساع مكان كلمة مجاز، وقد أشرت إلى ذلك في موضع سابق، وسيأتى لهذا الأمر زيادة بيان - إن شاء الله - فى أثناء الكلام عن علاقة اعتبار ما يئول إليه.

ونجد وراء أمر النبى صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بخلع سبتيه إجلالا لحرمة المقابر، وتقديرا لمنزلة الموتي، لأنهم يتألمون كما يتألم الحى فلا ينبغى إيذاؤهم بقرع النعال حول قبورهم، أو لأنها كانت وسخة، ولذلك قال ابن الأثير فى كلامه الذى أخذ عنه صاحب لسان العرب: " وإنما أمره بالخلع احتراما للمقابر؛ لأنه كان يمشى بينها، وقيل لأنها كان بها قذر، أو لاختياله فى مشيه"(٢).

وإذا ما عدنا إلى المجاز، أو الاتساع كما جاء في لسان العرب في هذا الموضع، فإننا نجد أنه ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم سمى النعلين سبتين باعتبار ما كانتا عليه في الماضى، وجعل ذلك نظيرا لقولهم فلان يلبس الصوف أى الثياب التى اتخذت من الصوف؛ فإنها سميت صوفا باعتبار ما كانت عليه فى الماضى، وقولهم فلان يلبس القطن أى الثياب المتخذة من القطن وسميت قطنا باعتبار ما كانت عليه فى الماضى، وقولهم فلان يلبس الإبريسم أى الثياب المتخذة منه سميت باعتبار ما كانت عليه فى الماضى.وأمثال

---

(١) لسان العرب ١٩١١/٣ (سبت).

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٣٣٠/٢.

هذه الاستعمالات التى أوردها لسان العرب لا تزال تتردد على ألسنة الناس في حياتهم اليومية فنراهم يقولون "أكلنا قمحا، وشربنا بنا، ونحو ذلك مما يكون التعبير فيه باعتبار ما كان" (١)

ومعلوم أنهم لا يقتاتون حبات القمح كما هى، ولا يشربون مسحوق البن، ولا يلبسون القطن كما أخذ من أشجاره دون غزل أو نسج، فقد سموا الخبز قمحا باعتبار ما كان، وأطلقوا على شراب القهوة بنا أيضا باعتبار ما كان.

---

(١) المنهاج الواضح، للأستاذ حامد عونى /١١١.

اعتبار ما يئول إليه

وهو تسمية الشئ باسم ما يئول إليه في المستقبل نحو قوله تعالى :(...إني أراني أعصر خمرا) (١) أي أعصر عنبا يئول إلى أن يصير خمرا بعد العصر (٢) وقد جاء تناول هذه العلاقة في لسان العرب على وجهين :

أحدهما: أن يصرح بأن تسمية الشئ باعتبار ما يئول إليه مجاز، فقد أورد كلاما مؤداه أن العنب أو العصير يسمى خمرا؛ لأنه سيكون خمرا في المستقبل، فقال حول إطلاق الخمر على العصير:"والخمر ما خمر العقل، وهو المسكر من الشراب ... وفي حديث سمرة أنه باع خمرا فقال عمر قاتل الله سمرة (٣)قال الخطابي إنما باع عصيرا ممن يتخذه خمرا فسماه باسم ما يئول إليه مجازا كما قال عز وجل (إني أراني أعصر خمرا) (٤).

---

(١) يوسف /٣٦.

(٢) ينظر المختصر للسعد ٤/٤٠، ٤١ ومواهب الفتاح ..لابن يعقوب المغربي شروح التلخيص ٤/٤٠.

(٣) ينظر الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ٤/٩٢ ط الشعب ومسند الإمام أحمد ٩٦/١ مكتبة التراث الإسلامي شرح أحمد محمد شاكر.

(٤) يوسف /٣٦.

فلهـذا نقم عـمـر رضى الله عنه عليـه ؛ لأنه مكروه، وأمـا أن يكون سمرة باع خمرا، فلا لأنه لا يجهل تحريمه مع اشتهاره" [١].

فالذى باعه (سمرة) عصير، وقد سمى خمرا باعتبار أنه يئول فى المستقبل إلى خمر، وهذا مجاز، لأنه استعمال الكلمة فى غير ما وضعت له، وغنى عن البيـان أنه مـجاز مرسل؛ لأن عـلاقـتـه غـيـر المشابهة، ولو كان (سمرة) قد باع خمرا بعينها، لعاقبه عمر- رضى الله عنه - لأن الذي حـرم شـربهـا حـرم بيـعـهـا، روى أن رجـلا أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمر فقال له رسـول الله صلى الله عليـه وسلم هل علمت أن الله قد حرمـهـا ؟ قـال لا فـسارّ إنسـانا فـقـال لـه رسـول الله صلي الله عليـه وسلم بم ساررتـه؟ فـقـال أمـرته ببيعـهـا فقال إن الذى حرم شربهـا حرم بيعها قال ففتح المزادة حتى ذهب ما فيها [٢].

وواضح أن تنظير العصير الذى سيكون فى المستقبل خمرا بما فى آية (يوسف)- كما جاء فى كلام الخطابى السالف الذكر- ليس فى كل شئ؛ لأن خـمـرا فى الآية يراد به العنب "بدليل ذكـر العـصـر؛ لأن الخمر عصير، والعصير لا يعصر" [٣] أما العصير، فقد تجاوز مرحلة كونه عنبا، فهو سائل مهيأ لأن يكون خمرا إذا عتق، وخمرت عليه دنانه.

---

(١) لسان العرب ١٢٥٩/٢ (خمر).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٨٨/٤-٨٩.

(٣) المنهاج الواضح، للأستاذ حامد عونى /١١٢.

وقد أورد ابن منظور فى لسان العرب ما يفيد أن الخمر معناها العنب وعلى ذلك تكون كلمة (خمرا) فى الآية حقيقة، وليست مجازا، فقد قال :"... والعرب تسمى العنب خمرا قال - أى ابن سيده - وأظن ذلك لكونها منه حكاها أبو حنيفة قال وهى لغة يمانية وقال - أى أبو حنيفة - فى قوله تعالى (إنى أراني أعصر خمرا) [١] إن الخمر هنا العنب. قال - أى ابن سيده- وأراه سماها باسم ما في الإمكان أن تئول إليه، فكأنه قال إنى أرانى أعصر عنبا قال الراعى:

ينازعنى بها ندمان صدق شواء الطير والعنب الحقينا

يريد الخمر" [٢].

ويبدو أن اعتبار (خمرا) فى الآية حقيقة - كما قال بعضهم - رأى مغمور، لا يبالى به، ولا يلتفت إليه، ولذلك ذكره صاحب الرسالة البيانية بصيغة (قيل) التى تنبئ عن الضعف والتمريض [٣] ولعله من أجل ذلك لم يذكره شراح التلخيص [٤] أو يحوموا حوله.

ويبدو لى أن تنظير ابن سيده (خمرا) فى الآية بالعنب فى قول الراعى المتقدم - ليس سديدا؛ لأن العنب فى البيت أطلق على الخمر

---

(١) يوسف /٣٦.

(٢) لسان العرب ١٢٥٩/٢ (خمر).

(٣) ينظر الرسالة البيانية، للصبان /٢٢٨.

(٤) ينظر شروح التلخيص ٤٠/٤، ٤١.

وهى موضوعة على مائدة الطعام، وقد يؤيد هذا الفهم قول صاحب لسان العرب في موضع آخر:

"قال الراعي في العنب التى هى الخمر :

ونازعنى بها إخوان صدق   شواء الطير والعنب الحقينا" (١)

وإذا كان العنب في بيت الراعى يراد به الخمر - كما ذكر ابن منظور- فإنه مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان أى الخمر التى كانت عنبا فى الماضي، أما فى الآية فإن كلمة (خمرا) أطلقت على العنب الذى يتناوله العصر، ليكون خمرا فى المستقبل، فهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يئول إليه.

ومما يجدر ذكره هنا أننى لحظت أن صاحب لسان العرب ذكر بيت الراعى بروايتين جاء في إحداهما (ينازعنى) وفى الثانية (نازعنى) وفى إحداهما (ندمان) وفى الثانية (إخوان).

وقد رجعت إلي ديوان الشاعر (٢) فوجدت البيت قد جاء فيه برواية قد لفقت بين الروايتين اللتين ذكرتا فى لسان العرب وهى :

ونازعنى بها ندمان صدق   شواء الطير والعنب الحقينا

والمهم أن العنب فى البيت مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، وليس مناظرا للمجاز فى آية (يوسف) كما بينت.

---

(١) لسان العرب ٣١١٩/٤ (عنب).

(٢) ديوان الراعى النميرى /٢٨٨، جمعه وحققه راينهرت ڤايبرت بيروت ١٤٠١هـ ١٩٨٠م.

ومن هذا النوع الذى صرح فيه بأن تسمية الشئ باعتبار ما يئول إليه مجاز ما ذكره في مادة (ثيب) من أن الثيب تطلق على البكر مجازا؛ لأنها ستكون كذلك فيما يستقبل من عمرها فقد قال :

"الثيب من النساء التى تزوجت وفارقت زوجها بأى وجه كان بعد أن كان قد مسها... وقد يطلق الثيب على المرأة البالغة وإن كانت بكرا مجازا، واتساعا"(١)

فإطلاق الثيب علي المرأة البالغة قبل أن تتزوج مجاز، وربما كان هذا الإطلاق تفاؤلا بأنها ستتزوج وتصير ثيبا فى المستقبل.

ونلحظ هنا أنه سمى هذا الإطلاق (مجازا واتساعا) وسمي إطلاق الخمر على العصير والعنب - كما سبق - مجاز لا غير، وفى هذا ما يدل على أن الاتساع يستعمل استعمال المجاز، ويؤدى مؤداه فعطفه عليه يكون عطف تفسير، وقد ذكرت ذلك من قبل.

ثانيهما: أنه قاس بعض أمثلة هذه العلاقة على بعض وصرح بأنها على وجه تصور الحال المتوقعة، فقد ذكر فى مادة (عفر) عدة أمثلة لهذه العلاقة أتبع بعضها بعضا، فبعد أن ذكر أن "العَفَرَ والعفر ظاهر التراب والجمع أعفار..."(٢) أورد قول أبى ذؤيب:

---

(١) لسان العرب ٥٢٥/١ (ثيب)

(٢) المصدر نفسه ٣٠٠٨/٤ (عفر).

ألفيـــت أغلـــب مـــن أُسْـــد المُسَـــدّ حديـــ
د النـــاب أخذتـــه عَفْـــرٌ فتطريـــح (١)

ونقل عن بعضـهم أن كلمـة (عـفـر) فى البـيت مـعناها جـذب، فيكون قد سمى الجذب عفرا؛ لأنه يئول إليه بعد أن يطرح على الأرض فقال : ".. وقال أبو نصر عفر جذب قال ابن جنى قول أبى نصر هو المعمول به، وذلك أن الفاء مرتبة، وإنما يكون التعفير فى التراب بعد الطرح لا قبله، فالعفر إذا ههنا هو الجذب، فإن قلت فكيف جاز أن يسمى الجذب عفرا؟ قيل جاز ذلك لتصور معني التعفير بعد الجذب وأنه إنما يصيـــر إلى العـــفـــر الذي هو التـــراب بعـــد أن يجـــذبه ويساوره.."(٢)

وقـد أورد بعـد المثـال السـابق مـثـالا آخـر سـمـيت فـيـه جلود الحيوانات وهى لا تزال حية أفيقا باعتبار ما يئول إليه، لأن الأفيق هو الجلد فى الدباغ فقال عقب كلامه الذي تقدم ذكره:

".. ألا ترى ما أنشده الأصمعـــى   وهـــن مـــدا غضـــن الأفيـــق(٣)

---

(١) المسد موضع بمكة عند بستان ابن عامر(فى الماضى) وذلك البستان مأسدة، وقيل هو موضع بقرب مكة شرفها الله تعالى.
لسان العرب ١٩٧١/٣ (سدد).

(٢) المصدر نفسه ٣٠٠٨/٤ (عفر).

(٣) الغضن والغضن الكسر فى الجلد والثوب والدرع وغيرها وجمعه غضون.

فسمى جلودها وهى حبة أفيقا، وإنما الأفيق الجلد ما دام في الدباغ، وهو قبل ذلك جلد وإهاب ونحو ذلك، ولكنه لما كان قد يصير إلى الدباغ سماه أفيقا، وأطلق ذلك عليه قبل وصوله إليه على وجه تصور الحال المتوقعة..." [١].

ثم ساق صاحب لسان العرب عدة أمثلة من قبيل المجاز المرسل علاقته اعتبار ما يكون أو ما يئول إليه دون أن يصرح باسم هذه العلاقة فقال: "... ونحو منه قوله تعالى: "إنى أرانى أعصر خمرا) [٢] وقول الشاعر:

إذا ما مات ميت من تميم   فسرك أن يعيش فجئ بزاد

فسماه ميتا وهو حى؛ لأنه سيموت لا محالة وعليه قوله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) [٣] أى إنكم ستموتون قال الفرزدق:

قتلت قتيلا لم ير الناس مثله   أقلبه ذا تومتين مسورا" [٤]

والمجاز كما هو واضح فى البيت الأخير فى (قتيلا) لأنه لم يقتل مقتولا، وإنما قتل حيا يصير بعد قتله قتيلا [٥].

---

(١) المصدر نفسه ٣٠٠٨/٤ (عفر).

(٢) يوسف /٣٦.

(٣) الزمر /٣٠.

(٤) لسان العرب ٣٠٠٨/٤ (عفر).

(٥) ينظر الخصائص، لابن جنى ١٧٧/٣.

ونلحظ فى الكلمات التى أوردها لسان العرب أنه أومأ إلى شئ مهم وهو أن الأيلولة في هذه العلاقة ليست حتمية دائما ، بل قد تكون حتمية كما فى إطلاق الميت على الحى؛ لأنه صائر إلى الموت لا محالة، وقد تكون ظنية محتملة كما فى إطلاق الأفيق على الجلد يشعر بذلك قوله (ولكنه لما كان قد يصير إلى الدباغ سماه أفيقا) فمفهوم تلك العبارة أنه قد لا يصير إلى الدباغ، ويعزز هذا المعنى ويعضده قوله بعد ذلك في هذا الصدد أيضا (وأطلق ذلك عليه قبل وصوله إليه على وجه تصور الحال المتوقعة) فالأيلولة متوقعة وليست متيقنة، ولذلك فرق فى نهاية هذه الأمثلة بين إطلاق العَفْر على الجذب وإطلاق ،ميت على الحى فقال :

"وإذا جاز أن يسمى الجذب عفرا؛ لأنه قد يصير إلى العفر، وقد يمكن ألا يصير الجذب إلى العفر كان تسمية الحى ميتا لأنه ميت لا محالة أجدر بالجواز" (١).

ولم أجد هذا المعني الذى ألمح إليه صاحب لسان العرب حول حتمية الأيلولة في هذه العلاقة، أو عدم حتميتها فيما قرأت من الكتب البلاغية إلا فى الرسالة البيانية للصبان - رحمه الله - فقد قال :"الثالثة عشرة اعتبار ما شأنه أن يئول إليه الشئ ظنا كقوله تعالى (إنى أرانى أعصر خمرا) (٢) أى عنبا يئول عصيره إلى الخمرية... أو قطعا كقوله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) (٣).

---

(١) لسان العرب ٣٠٠٨/٤ (عفر).

(٢) يوسف /٣٦.

(٣) الزمر/ ٣٠ والرسالة البيانية /٢٢٨.

وقد جعل بعض أعلام اللغة العربية المجاز في بعض الأمثلة السالفة الذكر المسببية فقال :"... وعليه قول الله سبحانه (إنى أرانى أعصر خمرا) وإنما يعصر عنبا يصير خمرا فاكتفى بالمسبب الذى هو الخمر من السبب الذى هو العنب وقال الفرزدق:

قتلت قتيلا لم يــر الناس مثلــه أقلبــه ذا تومتيــن مســورا" [١]

وإنما قتل حيا يصير بعد قتله قتيلا فاكتفى بالمسبب من السبب" [٢] وقد سبق أن أشرت إلى أنه لا ضرر فى أن ينظر في المجاز الواحد إلي أكثر من علاقة واحدة، ومدار الفرق على العلاقة المقصودة [٣].

---

(١) التومة اللؤلؤة، والمسور لابس السوار.

(٢) الخصائص، لابن جنى /٣/١٧٧.

(٣) ينظر حاشية الخضرى على شرح الملوى على السمرقندية /٤٦ والمباحث البيانية فى تفسير الفخر الرازى /١٨٢.

الكليـــة

هى "كـون الشئ مـتـضـمنا لشئ آخـر ولغـيـره نحـو قـولـه تعالى: (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) (١) أى رءوس أناملهم" (٢)

ولم أظفـر بأمثلة كثيرة فى لسان العرب لهذه العلاقة - على قـدر جهـدى- وجـاء تناول لسـان العرب لهذا النزر اليـسيـر من أمـثلة تلك العلاقة على صـورة واحدة ذكر فيها أنها تتمثل فى تسمية الجزء باسم الكل فقد قـال فى أحد المواضع: "... وربما سمـوا البيت الواحد شعرا حكاه الأخفش قـال ابن سيده وهذا ليس بقوى إلا أن يكون على تسمية الجزء باسم الكل كقولك الماء للجزء من الماء، والهواء للطائفة من الهواء، والأرض للقطعة من الأرض" (٣)

فقـول ابن سيـدة الذي ارتضاه صاحب لسان العـرب، ونقله عنه (... تسمـيـة الجزء باسم الكل) يشير إشارة واضحة جلية إلى علاقة الكليـة أعنى إطلاق الكل وإرادة الجزء، فيقال كما ألمح قرأت شعرا أى بيـتـا من الشـعـر، وشربت الماء أى بعـضـها منه، لأن الإنسان لا يشرب الماء كله، واستنشقت الهواء أى جزءا منه، وسكنت الأرض أى بقعه معينة منها.

---

(١) البقرة /١٩.

(٢) الرسالة البيانية، للصبان /١٩٧-١٩٨.

(٣) لسان العرب ٢٢٧٤/٣ (شعر)

ومثل ذلك ما أشار إليه في أحد المواضع من أن الصلاة تطلق على القراءة؛ لأن القراءة بعض منها فقد قال :"وفي حديث قراءة الفاتحة قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين أراد بالصلاة ههنا القراءة تسمية للشئ ببعضه.."(١).

والمقصود من القراءة كمايدل صدر الحديث قراءة الفاتحة؛ لأن الحديث الشريف جاء بشأنها.

وقد يكون من إتمام الفائدة أن أورد هذا الحديث بتمامه ثم أكمل الكلام عن المجاز فيه، فقد روى أبو هريرة- رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدى، وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى على عبدي، وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي، وقال مرة فوض إلى عبدى، فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدى ما سأل، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدى ما سأل"(٢).

وقد ذكر الإمام النووي - رحمه الله - في شرح الحديث ما يؤكد أن المراد بالصلاة فى الحديث الفاتحة فقال :"قال العلماء المراد

---

(١) المصدر نفسه ٥/ ٣٦٣٠ (قسم).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١/ ٢٧ ط الشعب.

بالصلاة هنا الفاتحة"[١] وواضح أن إطلاق الصلاة التى تتضمن أقوالا وأفعالا كثيرة على (الفاتحة) وحدها مجاز مرسل علاقته الكلية حيث أطلق الكل علي بعض منه.

وقد بدا لى أن قول صاحب اللسان فى كلامه المتقدم (أراد بالصلاة ههنا القراءة تسمية للشئ ببعضه) لا يتسق صدره مع عجزه، فإن قوله (تسمية للشئ ببعضه) يدل على أن المصرح به فى الكلام هو البعض، والواقع خلاف ذلك، لأن المذكور فى الكلام هو الكل أعنى الصلاة التى أريد بها الفاتحة.

وقد وجدت أن صاحب لسان العرب قد نقل هذا القول عن ابن الأثير[٢] دون أن ينعم النظر فيه، أو يفطن لما فيه من خلل، ولعله سهو منهما معا. والذى يعزز ما قلته، ويقويه أن صاحب اللسان ذكر في علاقة الجزئية، وهو بصدد الحديث عن إطلاق الرقبة على الإنسان كله أن الجملة سميت باسم العضو تسمية للشئ ببعضه[٣].

ولاشك أن استعمال تعبير واحد فى علاقتين متقابلتين يدل على أنه مجانب للصواب فى إحداهما، وكان يمكن أن يقال- مثلا - تسمية للجزء باسم الكل كما قال فى الأمثلة التى سلف ذكرها فى مطلع الحديث عن هذه العلاقة التى نحن بسبيلها حتى يكون الكلام متلائما متناسقا.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٩/١ ط الشعب.

(٢) ينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٦١/٤.

(٣) ينظر لسان العرب ١٧٠١/٣ (رقب).

الجزئيــة

الجزئية هي كون الشئ يتضمنه شئ آخر نحو قوله تعالى "كل شئ هالك إلا وجهه" (١) أي ذاته .. (٢).

وقد تناول صاحب لسان العرب أمثلة هذه العلاقة على عدة صور :

إحداها: أنه صرح بأن إطلاق الجزء على الكل مجاز، فقد قال في أحد المواضع :"الظِّلْفُ والظِّلْفُ ظفر كل ما اجتر، وهو ظلف البقرة والشاة والظبى وما أشبهها... وقد يطلق الظلف على ذات الظلف أنفسها مجازا ومنه حديث رقيقة تتابعت على قريش سنو جدب أقحلت الظلف، أي ذات الظلف" (٣).

فكلامه صريح فى أن الظلف، وهو من الشاة والبقرة والظبى ونحوها مثل الحافر من الفرس، والخف من البعير (٤) يطلق على الحيوان كله مجازا ولا يخفى أنه مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن الظلف جزء من هذه الحيوانات.

وقد ذكر صاحب لسان العرب هذا الكلام فى موضع آخر منسوبا إلى (عبد المطلب) دون أن يصرح فيه بكلمة المجاز، ولكنه

---

(١) القصص /٨٨.

(٢) الرسالة البيانية للصبان /١٩٩.

(٣) لسان العرب ٤/٢٧٥١ - ٢٧٥٢ (ظلف).

(٤) المصدر نفسه ٤/٢٧٥١ (ظلف).

ذكر ما يفيد أنه من قبيل ذلك المجاز، فقد قال :"القاحل اليابس من الجلود... وفي الحديث قحل الناس على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -أي يبسوا من شدة القحط، وقد قحل يقحل قحلا إذا التزق جلده بعظمه من الهزال والبلى... ومنه حديث استسقاء عبد المطلب تتابعت على قريش سنو جدب قد أقحلت الظلف، أى أهزلت الماشية، وألصقت جلودها بعظامها، وأراد ذات الظلف"[١] فقوله (... وأراد ذات الظلف) فيه إشارة واضحة إلى أن الإقحال ليس للظلف وحده بل إن الحيوان كله قد اعتراه الهزال، وأصابه الجفاف والضمور، وهذا يعتبر مجازا مرسلا علاقته الجزئية.

ولم أجد أحدا من البلاغيين الذين قرأت كتبهم قد مثل لعلاقة الجزئية بإطلاق الظلف على الحيوان.

والمتأمل في هذا المثال يجد أنه جزء من الحيوان غير ذى بال، ولا يستأهل أن يحفل به فى بادئ الرأى، ويطلق على الحيوان كله، وقد يؤيد هذا أن سعد الدين التفتازانى قد اشترط في الجزء الذى يطلق على الكل أن يكون وثيق الصلة بالغرض الذى يتوخاه المتكلم من الكل، فقد قال :"لابد فى الجزء المطلق على الكل من أن يكون له مزيد اختصاص بالمعني الذى قصد بالكل مثلا لا يجوز إطلاق اليد، أو الإصبع على الربيئة، وإن كان كل منهما جزءا منه"[٢].

---

(١) لسان العرب ٣٥٣٨/٥ (قحل)

وينظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ١٨/٤.

(٢) المطول /٣٥٦ وينظر شروح التلخيص ٣٥/٤-٣٦.

وواضح أن الظلف من الحيوان أقل قيمة فى جسم هذا الحيوان من اليد بالنسبة لجسم الإنسان؛ لأنه (ظفر كل ما اجتر) كماجاء فى اللسان، وقد نصت بعض الكتب البيانية على أن الظفر لا يصح أن يطلق على الإنسان لعلاقة الجزئية[1].

فهل يكون قول صاحب لسان العرب (وقد يطلق الظلف على ذات الظلف أنفسها مجازا) - غير متلائم مع ما ذكره بعض البيانيين؟.

الذى يبدو لى أن كلام صاحب اللسان حق، وأن كلام بعض البيانيين إن صح فى إطلاق الظفر على الإنسان، فإنه لا يتأتى في إطلاق الظلف على الحيوان كله، فإنه يظهر من سياق العبارة (تتابعت على قريش سنو جدب أقحلت الظلف) أن العرب كانت تميز بين أنواع الحيوانات بالعضو الذي تطأ به الأرض فى مشيها يدل على ذلك الحديث الذى أورده صاحب لسان العرب (لا سبق إلا فى خف أو نصل، أو حافر) وقد عقب عليه بقوله "فالخف الإبل ههنا، والحافر الخيل، والنصل السهم الذى يرمى به"[2]

ويبدو أن قائل عبارة (تتابعت على قريش ...) كان يقصد منها الحيوانات التى يأكلون لحومها، ويشربون ألبانها فـي أغلب أحوالهم، وهى البقر، والغنم، وما أشبهها هى التى تهمهم، وتعنيهم،

---

(١) ينظر الرسالة البيانية، للصبان، وحاشية الإنبابى عليها /٢٠٠.

(٢) لسان العرب ١٢١٣/٢ (خفف).

ومن هنا كـان للظلف فى نظرهم قـيـمـة، لأنه يمثل هذه الحـيـوانات، ويميزها عـمـا عداها من الحيـوانات، فـاستحق أن يطلق على الحيـوان كله، وهذا يؤكـد (أن الاعـتـبـارات اللغـوية تتـبع أحـوال المخلوقين وعاداتهم" [١].

ثانيتها : أنه كان أحيـانا يذكر أمثلة من قبيل تلك العلاقة، ويذكر عقبها أن فيها تسمية للشئ ببعضه، فقد بين فى أحد المواضع أن القرآن - أى القراءة - يطلق على الصلاة؛ لأن القراءة بعض منها فقال :

"... وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا [٢] ومنه سمى القرآن، وأقرأه القـرآن فـهـو مـقـرئ، وقـال ابن الأثيـر تكرر فـى الحديث ذكـر القـراءة، والاقتراء، والقارئ، والقرآن، والأصل فى هذه اللفظة الجمع، وكل شئ جمعته فقد قرأته، وسمي القرآن، لأنه جمع القصص، والأمر، والنهي ، والوعد ، والوعـيـد ، والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران، والكفران قال - أى ابن الأثير - وقد يطلق على الصلاة؛ لأن فيها قراءة تسمية للشئ ببعضه، وعلى القراءة نفسها.." [٣]

---

(١) أسرار البلاغة /٣١٦.

(٢) واضح أن كلمة (قرآن) هنا مصدر مرادف للقراءة كما سيجئ بعد قليل.

(٣) لسان العرب ٥/٣٥٦٣ (قرأ).

فقوله الذى باركه، وارتضاه، ونقله عن ابن الأثير إن القرآن - بمعنى القراءة - يطلق على الصلاة (لأن فيها تسمية للشئ ببعضه) يشير إشارة واضحة إلى مضمون علاقة الجزئية التى يطلق فيها اسم الجزء على الكل، ولم يذكر صاحب اللسان في هذا الموضع مثالا أطلق فيه القرآن على الصلاة، ولعله كان يلوح بما ذكره إلي ما جاء فى قوله تعالى: "وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا"(١) فقد قال الزمخشرى "... (وقرآن الفجر أى صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة؛ لأنها ركن.."(٢)

وبهذا يتضح أن إطلاق (القرآن) على الصلاة مجاز مرسل علاقته الجزئية، أما إطلاقه على القراءة، فهو حقيقة؛ لأن حينئذ يكون مصدرا مرادفا للقراءة كما تبدى من الكلام الذي سلف ذكره، ويؤكد هذا المنحى، ويدعمه إطلاقه على القراءة فى قوله تعالى: "إن علينا جمعه وقرآنه"(٣) أى قراءته(٤)

وقد أفدنا مما أورده صاحب لسان العرب في هذا الموضع أن القرآن الكريم سمى بهذا الاسم؛ لأنه مقروء، أو لأنه جمع القصص، والأوامر، والنواهى، والوعد والوعيد...(٥).

---

(١) الإسراء /٧٨.

(٢) الكشاف ٢/٣٧٢ وينظر البرهان في علوم القرآن، للزركشى ٢/ ٢٦٦.

(٣) القيامة /١٨.

(٤) ينظر لسان العرب ٥/٣٥٦٣ (قرأ).

(٥) ينظر المصدر نفسه والموضع.

ومن هذا القبيل الذى عقب فيه على بعض أمثلة هذه العلاقة بأن فيها تسمية للشئ ببعضه ما ذكره حول تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة ركوعا ؛ لأن الركوع جزء منها فقد قال فى بعض المواضع:

"... وجبى الرجل وضع يديه على ركبتيه فى الصلاة، أو على الأرض، وهو أيضا انكبابه على وجهه... وفى الحديث أن وفد ثقيف اشترطوا على رسول الله - صلي الله عليه وسلم - ألا [(١)] يعشروا، ولا يحشروا، ولا يجبوا، فقال النبى - صلي الله عليه وسلم - ولا خير فى دين لاركوع فيه" [(٢)].

ثم نقل عن ابن الأثير قوله "... والمراد بقولهم لا يجبون أنهم لا يصلون، ولفظ الحديث يدل علي الركوع والسجود ؛ لقوله فى جوابهم ولا خير فى دين ليس فيه ركوع، فسمى الصلاة ركوعا لأنه بعضها" [(٣)].

واضح أن تسمية الصلاة ركوعا مجاز مرسل علاقته الجزئية، وهذا مجاز قرآنى مشهور لا أجد حاجة إلى ذكر شواهد منه فى هذا الصدد.

---

(١) فى لسان العرب طبعة دار المعارف (أن يعشروا) دون (لا) والصواب ما أثبته، ولعله خطأ مطبعى، وقد كتب صحيحا في مادة (حشر) وعشر).

(٢) لسان العرب ٥٤٢/١ (جبى).

(٣) المصدر نفسه، والموضع.

وهنا أجد أن من المفيد الذى يقتضيه المقام أن أشير إلى معنى اشتراطهم (ألا يعشروا ، ولا يحشروا) بعد أن أصبح واضحا لدينا أن معني اشتراطهم (ألا يجبوا) أى لا يصلوا ، وإن كان ذلك بعيدا عما نحن فيه من حديث المجاز، حتى لا يترك قارئ هذا العمل متطلعا إلى معرفته، والوقوف على فحواه، وقد أغنانى صاحب اللسان - رحمه الله - عن مئونة البحث فى مصادر أخرى، فقد بين فى مادة (حشر) أن معنى (لا يحشروا) أنهم لا يندبون إلى المغازى والجهاد [١] وبين فى مادة (عشر) أن معنى (لا يعشروا) أى لا يؤخذ عشر أموالهم أى لا يدفعون الزكاة [٢] وقد يستغرب كل من يقرأ هذا الحديث، ويتساءل كيف يسمح رسول الله صلى الله عليه وسلم لثقيف أن يتركوا الجهاد ، وهو ذروة سنام الإسلام، وأن يسقط عنهم الزكاة؟.

والإجابة عن هذا التساؤل أنه صلى الله عليه وسلم "أراد أن يتألفهم، ويدرجهم شيئا فشيئا" [٣] فإذا ما ذاقوا حلاوة الإيمان، امتثلوا إلى جميع أوامره.

وقد "سئل جابر - رضي الله عنه - عن اشتراط ثقيف ألا صدقه عليها ولا جهاد ، فقال علم - أى رسول الله صلي الله عليه وسلم - أنهم سيتصدقون، ويجاهدون إذا أسلموا، ولم يرخص لهم في ترك الصلاة؛ لأن وقتها حاضر متكرر بخلاف وقت الزكاة والجهاد" [٤]

---

(١) لسان العرب ٨٨٣/٢ (حشر).

(٢) المصدر نفسه ٢٩٥٣/٤ (عشر).

(٣) المصدر نفسه والموضع.

(٤) المصدر نفسه ٥٤٢/١ (جبى).

ثالثتها : ألا يصرح بلفظ المجاز، ولا يذكر أن ذلك من تسمية الكل باسم الجزء، ولكنه يصرح بنقل اللفظ من الجزء إلى الكل، وهذا بعينه هو المجاز المرسل بعلاقة الجزئية فقد قال فى أحد المواضع :"ربأ القوم يربؤهم ربأ، وربأ لهم، اطلع لهم على شرف... والربيئة الطليعة، وإنما أنثوه؛ لأن الطليعة يقال له العين؛ إذ بعينه ينظر، والعين مؤنثة، وإنما قيل له عين؛ لأنه يرعى أمورهم، ويحرسهم، وحكى سيبويه في العين الذى هو الطليعة أنه يذكر ويؤنث، فمن أنث، فعلى الأصل، ومن ذكر، فعلى أنه قد نقل من الجزء إلى الكل"(١)

فكون اللفظ قد (نقل من الجزء إلى الكل) صريح فى أنه مجاز لغوى، لم يبن على علاقة المشابهة، فيكون مجازا مرسلا علاقته الجزئية.

ونلحظ أن هذه الحكاية التى حكاها (سيبويه) تعتبر إشارة مبكرة جدا إلى المجاز المرسل بشكل عام، وإلى علاقة الجزئية بوجه خاص، ومعلوم أن (سيبويه) متوفى عام (١٨٠)هـ.

وقد زاد صاحب لسان العرب أمر الربيئة توضيحا فقال إثر كلامه السابق:"... وفى الحديث مثلى ومثلكم كرجل ذهب يربأ أهله(٢) أى يحفظهم من عدوهم، والاسم الربيئة، وهو العين، والطليعة الذى ينظر للقوم؛ لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه"(٣).

---

(١) لسان العرب ١٥٤٥/٣ (ربأ)

(٢) ينظر صحيح مسلم بشرح النووى ٤٨٤/١.

(٣) لسان العرب ١٥٤٥/٣ (ربأ)

وقد أشار صاحب اللسان فى موضع آخر إلي أن العين(٣) الذى ينظر للقوم قد نقل من الجزء إلى الكل، وهذا هو الذي جعلهم يذكرونه فقال :"والعين الذي ينظر للقوم يذكر ويؤنث، سمى بذلك؛ لأنه إنما ينظر بعينه، وكأن نقله من الجزء إلى الكل هو الذى حملهم على تذكيره، وإلا فإن حكمه التأنيث، قال ابن سيده وقياس هذا عندى أن من حمله على الجزء فحكمه أن يؤنثه، ومن حمله على الكل فحكمه أن يذكره، وكلاهما قد حكاه سيبويه..."(١)

وفيما ذكره هؤلاء اللغويون حول تذكير كلمة (العين) إذا أريد به الطليعة إشارة جلية إلى أثر المجاز فى الكلمة، فقد تغير من أجله حكم الكلمة من التأنيث إلى التذكير، فكأنها أفرغت من معناها الأصلى، وصبت فى قالب مجازى جديد، استدعى حكما جديدا.

ويمكن توضيح ذلك بمثال فيقال -مثلا- هذه عين باكية من خشية الله، بتأنيث (عين) الباصرة، لأنها جزء من الإنسان، فإذا ما نقلت (عين) إلى الربيئة والرقيب يقال سهر عين يقظان علي حراستنا بتذكيرها، لأنها أطلقت على الرقيب كله.

وقد اتخذ البلاغيون من إطلاق العين على الرقيب منطلقا إلى بيان أهمية الجزء الذى يطلق على الكل، وأنه ينبغى أن يكون له مزيد اختصاص بالمعنى المراد، فقد قال الشيخ عبد القاهر الجرجانى بعد أن أشار إلى بعض علاقات المجاز المرسل وأمثلتها:"...فالعين لما كانت المقصودة فى كون الرجل ربيئة صارت كأنها الشخص كله؛ إذ كان لولا هداها لا يعى شيئا مع فقدها"(٢).

---

(١) لسان العرب ٣١٩٧/٤ (عين).

(٢) أسرار البلاغة /٣١٨.

وقد استلهم قول الشيخ، وسار على سننه من جاء بعده من البلاغيين، فقد قال السكاكي :"... ونحو أن يراد الرجل بالعين، إذا كان ربيئة من حيث إن العين لما كانت المقصودة في كون الرجل ربيئة صارت كأنها الشخص كله"(١).

وقال السعد الدين التفتازاني :"... كالعين وهي الجارحة المخصوصة في الربيئة وهي الشخص الرقيب، والعين جزء منه، ويجب أن يكون الجزء الذي يطلق علي الكل مما يكون له من بين الأجزاء مزيد اختصاص بالمعني الذى قصد بالكل..."(٢).

وفيما ذكرته من كلام بعض البلاغيين غنية، وكفاية في هذا المقام(٣).

بقيت هنا نقطة أود أن أشير إليها، وهي المصاحبة، والارتباط بين كلمات العين والربيئة، والطليعة في كلام صاحب لسان العرب، وبعض البلاغيين، فنجد صاحب اللسان يقرن بينها في قوله:"والاعتيان الارتياد، وبعثنا عينا أي طليعة يعتاننا، ويعتان لنا أي يأتينا بالخبر... واعتان لنا فلان أي صار لنا عينا أي ربيئة.."(٤)

---

(١) المفتاح /١٧٣.

(٢) المختصر ٣٥/٤-٣٦ شروح التلخيص.

(٣) وينظر بغية الإيضاح ٩٥/٣ والأطول للعصام ١٢٠/٢.

(٤) لسان العرب ٣١٩٧/٤ (عين).

فقد فسر كلمة (عين) مرة بالطليعة، ومرة بالربيئة، وقد سبق أن أوردت في صدر هذا الحديث عن استعمال العين مجازا في الرقيب قوله ".. والربيئة الطليعة، وإنما أنثوه؛ لأن الطليعة يقال له العين..."

وقد بحثت عن معنى كلمة (الطليعة) فوجدته يذكر في مادة (طلع) أنها تستعمل في الواحد والجمع الذين يستطلعون أخبار العدو، ويراقبون تحركاته فقد قال :

"والطليعة القوم يبعثون لمطالعة خبر العدو، والواحد والجمع فيه سواء، وطليعة الجيش الذى يطلع من الجيش يبعث ليطلع طلع العدو... وفي الحديث أنه بعث بين يديه طلائع هم القوم الذين يبعثون ليطلعوا طلع العدو كالجواسيس واحدهم طليعة" [١].

ومن البلاغيين الذين جمعوا بين هذه الكلمات الثلاث العصام- رحمه الله - فقد صرح بأن العين تستعمل في الربيئة، والربيئة الطليعة.. [٢]

ولعله بذلك الجمع يكون قد استدرك ما فات أمثال الشيخ عبد القاهر، والسكاكى والخطيب القزوينى الذين ذكروا في هذا المجال أن العين استعملت في الربيئة دون أن يكشفوا الغطاء عن معنى الربيئة[٣].

---

(١) لسان العرب ٤/ ٢٦٩٠ (طلع).

(٢) ينظر الأطول، للعصام ٢/ ١٢٠.

(٣) ينظر أسرار البلاغة /٣١٨ والمفتاح /١٧٣ وبغية الإيضاح ٣/ ٩٥.

وغنى عن البيان أن كلمتى الربيئة، والطليعة، قد أتى بهما فى الكلام السابق لتـ ضيح المراد بكلمة العين عندما تطلق مجازا على الشخص كله، وكلتاهما قد استعملت فى معناها الحقيقى.

رابعتها : أنه كان فى بعض الأحيان يشرح مضمون المجاز، ويوضح مفهومه دون أن يصرح بلفظ المجاز، أو الجزئية، أو شئ من هذا القبيل، فقد ذكر في أحد المواضع أن التسبيح يأتى بمعنى الصلاة، وفى هذا إشارة إلى أنه أطلق على الصلاة؛ لأنه جزء منها "... تقول قضيت سبحتى، وروى أن عمر رضى الله عنه جلد رجلين سبحا بعد العصر أى صليا قال الأعشى :

وسبح على حين العشيات والضحـى ... ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

يعني الصلاة بالصباح والمساء، وعليه فسر قوله تعالى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) [١] يأمرهم بالصلاة في هذين الوقتين، وقال الفراء (حين تمسون) المغرب والعشاء (وحين تصبحون) صلاة الفجر (وعشيا) العصر وحين تظهرون) *الأولى [٢]

---

(١) الروم /١٧.
* الروم /١٨.

(٢) فى معانى القرآن، للفراء (وحين تظهرون) صلاة الظهر ٢/٣٢٣ ولعل صاحب اللسان أو من أخذ عنه وجد فى إحدى نسخ معانى القرآن كلمة (الأولى) بدل صلاة الظهر بناء على ما هو مشهور من أن جبريل صلى بالرسول صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر قبل أى صلاة أخرى.

وقوله تعالى (وسبح بالعشى والإبكار)* *أى وصل، وقوله عز وجل (فلولا أنه كان من المسبحين) (١) أراد من المصلين قبل ذلك ..." (٢)

وقد سبق أن ألمحت إلي أن إطلاق التسبيح على الصلاة من المجازات اللغوية التى عرفت منذ عهد مبكر، فقد أشار إليه أبو عبيدة في كتابه (مجاز القرآن) (٣)

ومن هذا الضرب أيضا ما نقله صاحب لسان العرب عن بعض اللغويين، ومضمونه إطلاق لفظ كلمة على كلمة التوحيد وهى مركبة من كلمات، وهذا يعنى أنها مجاز مرسل علاقته الجزئية فقد قال : "... وقوله تعالى (وجعلها كلمة باقية في عقبه) (٤) قال الزجاج عنى بالكلمة هنا كلمة التوحيد لا إله إلا الله، جعلها باقية في عقب إبراهيم لا يزال من ولده من يوحد الله عز وجل" (٥).

وواضح أن إبراهيم عليه السلام لم يقل لا إله إلا الله صراحة كما قال الزجاج، وإنما قال(إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى) (٦).

---

* * آل عمران / ٤١.

(١) الصافات /١٤٣.

(٢) لسان العرب ١٩١٦/٣ (سبح)

(٣) عند الكلام عن المجاز المرسل عند أبي عبيدة.

(٤) الزخرف /١٨.

(٥) لسان العرب ٣٩٢٢/٥ (كلم)

(٦) الزخرف /٢٦.

وهذا القول يعدل لا إله إلا الله، وقد صرح بذلك الإمام فخر الدين الرازي- رحمه الله - حين قال فى تفسير الآية :"... (وجعلها) أي وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله (إننى براء مما تعبدون) جار يا مجرى (لا إله) وقوله (إلا الذى فطرنى) جاريا مجرى قوله (إلا الله) فكان مجموع قوله (إننى براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى جاريا مجرى قوله (لا إله إلا الله) [١].

وسواء قلنا إن لفظ (كلمة) أطلق على كلمة التوحيد لا إله إلا الله، أو على قوله (إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى) الذى يعدلها، فإنه مجاز مرسل علاقته الجزئية، لأن فيه تسمية الكل باسم الجزء.

وإطلاق الكلمة على الكلمات مجاز قرآني مشهور، فقد سمي الله قول الكفار (قالوا اتخذ الله ولدا) [٢] كلمة فى قوله تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) [٣] وهو كلمات، وسمى هذا الكلام كما تسمى القصيدة كلمة[٤].

وجعل سبحانه وتعالى - قوله (إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) [٥] كلمة فى قوله عز وجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) [٦] وهو كلمات عديدة.

---

(١) التفسير الكبير ١٤ ٢٠٩/١.

(٢) الكهف /٤.

(٣) الكهف/٥.

(٤) التفسير الكبير ١١ ٧٩/١.

(٥) الصافات /١٧٢، ١٧٣.

(٦) الصافات / ١٧١.

ومن هذا الصنف كذلك ما نقله صاحب لسان العرب عن الزجاج أيضـا في تفـسـيـر (وجـهـه) من قـوله تعـالى (كل شئ هالك إلا وجهه) [١] فـقد قـال "... قـال الزجـاج أراد إلا إياه" [٢] أى إلا ذاتـه، كما ذكر في صدر الكلام عن هذه العلاقة، فيكون إطلاق الوجه على ذاته تعالى مجازا مرسلا علاقته الجزئية.

(١) القصص /٨٨.

(٢) لسان العرب ٦/٤٧٧٥ (وجه)

وينظر معانى القرآن، للفراء ٢/٣١٤

المحليـــة

هى كون الشئ محلاً لآخر نحو جرى الميزاب أى الماء[١].

وقـد تناول صـاحب لسـان العـرب هذه العـلاقـة على عـدة وجـوه

أحدها : أن يصرح بأن إطلاق المحل على الحال اتساع ، فقد قال فى أحد المواضع « ..... والغـوط والغـائط المتسع مـن الأرض مع طمأنينة ... الغـوط عمق الأرض الأبعد، ومنه قيل للمطمئن من الأرض غـائط، ولموضع قـضـاء الحـاجة غـائط؛ لأن العادة أن يقـضى في المنخـفض من الأرض حيـث هو أستـر له، ثم اتسع فـيه حتى صـار يطلق على« النجو نفـسه، والغـائط العـذرة نفـسهـا ؛ لأنهم كـانـوا يلقونها بالغـيطان »[٢] فالغائط فى الأصل موضع منخفض من الأرض ، وقد يخرج عن معناه على سبـيـل المجـاز ويطلق على مـا يخـرج مـن البطن؛ لأنهم كـانـوا يلقـونه بالغـيطان من إطلاق المحل على الحال، فـالعلاقة فى هذا المجاز المحلية، والنجو مايخرج من البطن أيضـاً، ومنه قولهم استـنجى فلان أى مسح موضع النجو أو غسله، ويقال أنجى أى أحدث[٣] .

ثانيـهـا : أن يذكـر أن الشئ يسـمى باسم مـوضـعـه أى مـحله، فـقـد قـال فى أحـد المواضع : « .... والجـبـان والجـبـانة بالتـشـديد الصـحـراء، وتسـمى بهـا المقـابر؛ لأنهـا تكون فى الصـحـراء، تسـمـية للشئ بموضعه »[٤] .

---

(١) الرسالة البيانية ، للصبان / ٢٤٠ .

(٢) لسان العرب ٣٣١٦/٥ (غوط) .

(٣) ينظر المصدر نفسه ٤٣٦٠/٦ (نجا) .

(٤) المصدر نفسه ٥٤٠/١ (جبن) .

فقد أطلق اسم الجبانة ، وهى الصحراء على المقابر ، فسميت المقابر جبانة، لأنها تكون بالصحراء من إطلاق اسم المحل على الحال فيه، فقوله (تسمية للشئ بموضعه) واضح الدلالة على أنه يعنى علاقة المحلية، لأن اسم الموضع أطلق على الموضوع فيه، أو بعبارة أخرى أطلق اسم المحل على الحال فيه .

ثالثها : أن يفهم من شرحه وبيانه أنه يقصد علاقة المحلية ، فقد قال فى أحد المواضع : «فضضت الشئ أفضه فضاً فهو مفضوض وفضيض كسرته ومزقته ... وفى الدعاء لايفضض الله فاك أى لايكسر أسنانك، والفم ههنا الأسنان كما يقال سقط فوه يعنون الأسنان ... أو تقديره لايكسر الله أسنان فيك فحذف المضاف يقال فضه إذا كسره، ومنه حديث النابغة الجعدى لما أنشده القصيدة الرائية قال لايفضض الله فاك[1] قال - أي الجوهرى - فعاش مائة وعشرين سنة لم تسقط له سن»[2] .

فعلى القول الأول الذى لايقدر فيه مضاف محذوف يكون الفم قد أطلق على الأسنان ؛ لأنه محلها ، فتكون العلاقة المحلية .

وقصيدة النابغة الجعدى التى يلوح إليها صاحب لسان العرب، هى التى جاء فيها :

---

(١) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٣/ ٤٥٣ .

(٢) لسان العرب ٤/٣٤٢٦، ٣٤٢٧ .

ولاخير فى حلم إذا لم يكن لـه ... بوادر تحمى صفـوه أن يكـدرا
ولاخير فى جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ماأورد الأمر أصدرا (١)

ومن هذا القبيل الذى يفهم من شرحه أنه يقصد علاقة المحلية ماذكره فى أحد المواضع من أن العذرة تطلق على الغائط الذى يخرجه الإنسان، والعذرة فى الأصل فناء الدار فقال :

«والعاذر والعذرة الغائط الذى هو السلح وفى حديث ابن عمر أنه كره السلت الذى يزرع بالعذرة يريد الغائط الذى يلقيه الإنسان ، والعذرة فناء الدار وفى حديث على أنه عاتب قوماً فقال : مالكم لاتنظفون عذراتكم أي أفنيتكم... » (٢) .

فكلامه يشير إلى أن العذرة فى الأصل فناء الدار ثم أطلقت على الغائط الذى هوالسلح، والنجو إطلاقاً للمحل على الحال، ولذلك قال عقب كلامه السابق :

«وفى الحديث إن الله نظيف يحب النظافة فنظفوا عذراتكم ولاتشبهوا باليهود (٣)... قال أبو عبيد وإنما سميت عذرات الناس بهذا لأنها كانت تلقى بالأفنية، وقال الحطيئة يهجو قومه ويذكر الأفنية :

لعمرى لقد جربتكم فوجدتكم ... قباح الوجوه سيئ العذارت» (٤)

---

(١) ينظر شعر النابغة الجعدى / ٦٩ منشورات المكتب الإسلامى بدمشق ط أولى ١٩٦٤م .

(٢) لسان العرب ٤/ ٢٨٦٠ وينظر كتاب النهاية .. لابن الأثير ٣/١٩٩.

(٣) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ١٩٩/٣.

(٤) لسان العرب ٤/ ٢٨٦٠ (عذر) .

الحالية

الحالية كون الشئ حالاً في غيره كقوله تعالى «ففي رحمة الله»[(١)] يعني الجنة التي تحل فيها الرحمة ....[(٢)] .

وقد تناول صاحب لسان العرب هذه العلاقة في مواضع من لسانه، ولم أعثر - قدر جهدي - على موضع ذكر فيه أن إطلاق الحال على المحل مجاز، ولكنه صرح في أحد هذه المواضع بأنه اتساع، وعلى ذلك فإن تناوله لهذه العلاقة جاء على وجهين :

أحدهما : أنه أشار إلى أن إطلاق الحال على المحل اتساع، فقد أورد ماجاء في حديث جابر «عقلت الجمل في ناحية البلاط»[(٣)] ثم عقب عليه بقوله «البلاط ضرب من الحجارة تفرش به الأرض ثم سمي المكان بلاطاً اتساعاً وهو موضع معروف بالمدينة تكرر ذكره في الحديث»[(٤)] .

ويبدو أن هذا المكان كله قد سمي بلاطاً تسمية له باسم الحال فيه، لأن البلاط حال في هذا المكان ، وبناء على ذلك تكون العلاقة في هذا المجاز هي الحالية، ونلمح في كلام لسان العرب في هذا

---

(١) آل عمران / ١٠٧ .

(٢) ينظر الرسالة البيانية ، للصبان / ٢٣٦ - ٢٣٨ .

(٣) الحديث في كتاب غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ١٥٢/١ وينظر الحديث في فتح الباري ١٤٠/٥ .

(٤) لسان العرب ٣٤٤/١ وقد جاء في (فتح الباري....) أن (البلاط) موضع قرب مسجد المدينة . جزء المقدمة / ٩٤ .

الموضع أن مايتردد على ألسنة الناس من مثل قولهم بلطت البيت، أو الدار أسلوب عربي فصيح، ويؤيد ذلك قول الزمخشري أيضاً بلط داره إذا فرشها بصخر أو آجر، وماأحسن بلاط صحنك[١].

وفي لسان العرب دار مبلطة بآجر أو حجارة، ويقال بلطت الدار فهي مبلوطة إذا فرشتها بآجر أو حجارة[٢].

ثانيهما : أنه قد يشير إلى أن الشئ يسمى باسم الحال فيه، وذلك يعني أنه يقصد علاقة الحالية، فقد قال في أحد المواضع : « ...والخَدَمَةُ السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يشد في رسغ البعير ... والخدمة الخلخال، وهو من ذلك،؛ لأنه ربما كان من سيور يركب فيها الذهب والفضة، والجمع خدام، وقد تسمى الساق خدمة حملاً على الخلخال؛ لكونها موضعه، والجمع خدم وخدام قال :

كيف نومي على الفراش ولما ... تشمل الشأم غارة شعواء[٣]

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى ... عن خدام العقيلة العذراء

أراد وتبدى عن خدام العقيلة، وخدام ههنا في نية عن خدامها.. وفي حديث سلمان أنه كان على حمار وعليه سراويل وخدمتاه تذبذبان[٤] أراد بخدمتيه ساقية؛ لأنهما موضع الخدمتين، وهما الخلخالان»[٥] .

---

(١) أساس البلاغة (بلط) .

(٢) لسان العرب ٣٤٤/١ (بلط) .

(٣) غارة شعواء أي منتشرة .
ينظر لسان العرب ٢٢٨٢/٤ (شعا) .

(٤) الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢/ ١٥.

(٥) لسان العرب ١١١٥/٢ (خدم) .

واضح من كلام لسان العرب الذى سلف ذكره أن الساق سميت خدمة؛ لأنها موضع الخدمة أى الخلخال، وقد مثل لذلك الاستعمال بما جاء فى حديث سلمان (وخدمتاه تذبذبان) أى ساقاه، وقول الشاعر (وتبدى عن خدام العقيلة) فيكون المقصود من (خدام العقيلة) فى البيت ساقيها، فالغارة تذهل الشيخ عن بنيه، وتجعل العذراء الكريمة تفر منها مشمرة عن ساقيها، إمعاناً فى الهرب ، واستسلاماً للفرار، ولكنى وجدت صاحب (مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف) ذهب إلى عكس ذلك، ففسر (خدام العقيلة) فى البيت بالخلخال عندما قال «وإذهال الشيخ عن بنيه كناية عن اشتدادها - أى الغارة - وكذلك كشفها عن خدام العقيلة والخدام الخلخال» (١) .

وإذا كان كشف الغارة عن خدام العقيلة كناية عن شدتها - كما قال - فإن الذى يتسق مع هذه الشدة ، ويتلاءم معها أن يكون المراد بها ساقيها كما ذكر فى لسان العرب ، والذهاب إلي أنها الخلخال يضعف - كما يبدو لى - المعنى الذى تتوخاه هذه الكناية؛ لأن الخلخال عادة يكون أسفل الساق فلا ينبئ كشفه عن قوة الغارة ، وشدتها .

وإطلاق الخدمة - أى الخلخال - على الساق؛ لأنه موضعه، أو لأنه حال بها من الأمثلة التى لم تعهدها كتب البلاغة المألوفة، أو

---

(١) مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف ، للشيخ محمد عليان المرزوقى/٧ فى نهاية الجزء الرابع من الكشاف . ط دار المعرفة - بيروت .

تسطرها أقلام البلاغيين المشهورين فى علاقة الحالية ، ولعلها تحتسب من الإضافات البلاغية التى أضافها هذا العمل المتواضع الماثل بين أيدينا .

ومن هذا النوع ماذكره فى مادة (ثأر) فقد قال : «ويقال ثأرت القتيل وبالقتيل ... أى قتلت قاتله ... وأثأر فلان من فلان إذا أدرك ثأره، وكذلك إذا قتل قاتل وليه... وفى حديث عبد الرحمن يوم الشورى لاتغمدوا سيوفكم عن أعدائكم فتوتروا ثأركم [(١)] الثأر هنا العدو؛ لأنه موضع الثأر أراد أنكم تمكنون عدوكم من أخذ وتره عندكم يقال وترته إذا أصبته بوتر وأوترته إذا أوجدته وتره ومكنته منه» [(٢)].

فقوله (الثأر ههنا العدو، لأنه موضع الثأر) صريح فى أنه أطلق الثأر على العدو؛ لأنه محل له، وسمى العدو ثأراً؛ لأن الثأر حال فيه، ونلحظ مما ذكر من أمثلة هذه العلاقة أن الحال قد يكون اسم ذات مثل البلاط، والخدمة، وقد يكون معنى من المعانى مثل الثأر، ومثل الرحمة كما فى قوله تعالى (ففى رحمة الله هم فيها خالدون) [(٣)] أى جنته وقد لمس هذا المعنى العلامة الصبان عندما ذكر أن المراد بالحلول فى هذه العلاقة مايشمل حلول المتمكن فى المكان،

---

(١) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ١/ ٢٠٥ .

(٢) لسان العرب ١/٤٦٦ . (ثأر) .

(٣) آل عمران /١٠٧ .

وحلول الأعراض في موضوعاتها [١] ومن حلول الأعـراض فى موضوعاتها ، ماجاء فى قوله تعالى «خذوا زينتكم عند كل مسجد» [٢] فإن المراد بالزينة فى الآية اللباس، لأن الزينة حالة فيه، وقائمة به [٣] .

(١) ينظر الرسالة البيانية ، للصبان / ٢٣٩ .

(٢) الأعراف / ٣١ .

(٣) ينظر حاشية الإنبابى على الرسالة البيانية / ٢٣٩.

الفصل الثالث

المجاز عن المجاز

الفصل الثالث
المجاز عن المجاز

عهدنا بالمجاز أنه «كل كلمة أريد بها غير ماوقعت له فى وضع واضعها لملاحظة بين الثانى والأول» (١) .

فالكلمة المستعملة فيما وضعت له حقيقة، فإذا نقلت عن هذا المعنى إلى معنى آخر له صلة بالأول ، كانت مجازاً ، فمثلاً كلمة (رحمة) فى قولنا رحمة الله تتنزل على عباده ليل نهار حقيقة؛ لأنها استعملت فيما وضعت له، لكنها فى قوله تعالى «فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته...» (٢) مجاز عن الجنة؛ لأن دخول الناس الجنة يكون برحمة الله (٣) وواضح أن القرينة (فيدخلهم...) لأن الدخول لايكون إلا فى مكان والرحمة معنى من المعانى لايتأتى الدخول فيها .

وقد يكون المجاز ليس متفرعاً عن الحقيقة مباشرة، ولكنه متفرع عن مجاز آخر نزل منزلة الحقيقة بالنسبة للمجاز الذى تفرع عنه، وقد مثل له عز الدين بن عبد السلام بقوله تعالى (ولكن لاتواعدوهن سراً) (٤) فقال : «... إنه مجاز عن مجاز فإن الوطء

---

(١) أسرار البلاغة / ٢٨١ .

(٢) الجاثية / ٣٠ .

(٣) ينظر تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة / ١٤٥ .

(٤) البقرة/ ٢٣٥ .

يتجوز عنه بالسر ، لأنه لايقع غالباً إلا فى السر ، فلما لازم السر فى الغالب سمى سراً ، ويتجوز بالسر عن العقد، لأنه سبب، فيه، فالمصحح للمجاز الأول الملازمة ، والمصحح للمجاز الثانى التعبير باسم المسبب الذى هو السر عن العقد الذى هو سبب ، كما سمى عقد النكاح نكاحاً؛ لكونه سبباً فى النكاح وكذلك سمى العقد سرا لأنه سبب فى السر الذى هو النكاح فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المصحح، فمعنى قوله (ولكن لاتواعدوهن سراً) لاتواعدوهن عقد نكاح »[١] .

وقد نقل كلام العز بن عبد السلام حول هذا المجاز الإمام الزركشى، وزاد عليه ماحكاه عن بعضهم من أن هذا المجاز يسمى مجاز المراتب، وجعل منه قوله تعالى : «يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا »[٢] فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس، بل الماء المنبت للزرع المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس»[٣] .

والذى دعانى إلى أن أعرج علي هذا النوع من المجاز أننى وجدت صاحب لسان العرب يذكر أمثلة يمكن أن تعد من هذا المجاز، وإن كان لم يشر إلي أنها مجاز فضلاً عن كونها مجازاً عن مجاز، لكن سياق كلامه ينبئ أنها من قبيله، وصميمه، فقد ذكر أن السماء المطر، يقال مازلنا نطأ السماء أى المطر قال معاويه بن مالك :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضاباً[٤]

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز / ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) الأعراف / ٢٦ .

(٣) البرهان فى علوم القرآن ٢٩٨/٢ - ٢٩٩ .

(٤) ينظر لسان العرب ٢١٠٨/٣ (سما) .

ثم قال : «ويسمى العشب أيضاً سماء لأنه يكون عن السماء الذى هو المطر، كما سموا النبات ندى؛ لأنه يكون عن الندى الذى هو المطر، ويسمى الشحم ندى؛ لأنه يكون عن النبات قال الشاعر :

فلما رأى أن السماء سماؤهم   أتى خطة كان الخضوع نكيرها

أى رأى أن العشب عشبهم، فخضع لهم ليرعى إبله فيه»[١]

فالسماء أطلقت على المطر لعلاقة المجاورة، ثم أطلق السماء بمعنى المطر على النبات لأنه سبب إنباته وكذلك الندى الذى هو المطر أطلق على النبات لأنه سبب إنباته، ثم أطلق الندى بمعنى النبات علي الشحم، لأنه سبب تكونه فى جسم الحيوان .

وقد زاد أمر هذا (الندى) إيضاحاً فى موضع آخر ، فحكى عن بعض اللغويين أن «الندى المطر والبلل، وقيل للنبت ندى؛ لأنه عن ندى المطر نبت، ثم قيل للشحم ندى لأنه عن ندى النبت يكون، واحتج بقول عمرو بن أحمر :

كثور العداب الفرد يضربه الندى   تعلى الندى فى متنه وتحدرا[٢]

أراد بالندى الأول الغيث والمطر، وبالندى الثانى الشحم، وشاهد الندى اسم النبات قول الشاعر :

---

(١) المصدر نفسه والموضع .

(٢) العداب : أرض أنبتت أول نبت ثم أيسرت .

ينظر لسان العرب ٢٨٣٢/٤ (عدب)

يلس الندى حتى كأن سراته غطاها دهان أو ديابيج تاجر »[(١)]

فالندى بمعنى المطر حقيقة، وإطلاقه على النبات مجاز مرسل من إطلاق السبب على المسبب ، وإطلاق الندى بمعنى النبات على الشحم مجاز مرسل أيضاً من إطلاق السبب على المسبب كذلك .

ويبدو أن ندرة أمثلة هذا الصنف من المجاز جعلت البلاغيين لايحفلون به كثيراً، ولايهتمون بدراسته .

وهنا يعن أمامنا هذا التساؤل هل يمكن أن يسقط من الكلام المجاز الذى يعتبر واسطة ، ويبقى الكلام على مجازيته ؟

الذى يبدو من كلام بعض كبار البلاغيين أن هذا أمر ممكن، فقد ذكر السكاكى - كما سبق في قول القائل :

..... يأكلن كل ليلة إكافا

أن هناك تعلقاً بين (إكاف) و (علف) « أى علفاً بثمن إكاف للتعلق بين ذلك العلف وبين الإكاف »[(٢)] .

فنجد أنه ترك الثمن، الذى يعتبر واسطة بين العلف والإكاف، وجعله مطوياً منسياً، ويظهر ذلك أيضاً فى كلمة (رزق) من قوله تعالى (ينزل لكم من السماء رزقاً)[(٣)] فإنهم ذكروا - كما سبق - أن (رزقاً) يراد به المطر؛ لأن الرزق مسبب عن المطر .

---

(١) لسان العرب ٤٣٨٧/٦ (ندى) .

ومعنى تلس الدابة النبات تأخذه بجحفلتها . أساس البلاغة (لسس)

(٢) المفتاح / ١٧٣ .

(٣) غافر / ١٣ .

فنراهم جعلوا التعلق بين الرزق والمطر، وأهملوا ، أو تناسوا الواسطة بينهما ، فإن كونه رزقاً ينتفع به لايتأتى إلا بعد زراعة الأرض ، ثم حصاد ماأنتجته ، والانتفاع به .

ومثل ذلك ماجاء فى حديث (لوكان ثوبك فى تنور أهلك) الذى سلف ذكره، فقد نظروا إلى التعلق بين (ثوبك) والخبز، أو الحطب الذى يوضع في التنور، وطووا الثمن الذى يشترى به، والدقيق، أو الحطب الذى يشترى بثمن ذلك الثوب .

الفصل الرابع

بين المجاز المرسل والاستعارة في لسان العرب

الفصل الرابع
بين المجاز المرسل والاستعارة فى لسان العرب

من المعلوم أن كلا من المجاز المرسل والاستعارة مجاز لغوى، والتفرقة بينهما باعتبار العلاقة، فإذا كانت العلاقة المشابهة ، كان هذا المجاز استعارة ، وإذا كانت العلاقة غير المشابهة، كان مجازاً مرسلاً، فالعلاقة هى الفيصل بين المجاز المرسل والاستعارة ، ويمكن أن ينظر إلى اللفظ الواحد باعتبارين مختلفين ، فيعد من الاستعارة إذا اعتبرت العلاقة المشابهة ، ويعد من المجاز المرسل إذا اعتبرت علاقة أخرى غير المشابه، قال سعد الدين التفتازانى : «... فإذا أطلق نحو المشفر علي شفة الإنسان، فإن أريد تشبيهها بمشفر الإبل في الغلظ، فهو استعارة وإن أريد أنه إطلاق المقيد على المطلق كإطلاق المرسن على الأنف من غير قصد إلى التشبيه، فمجاز مرسل، فاللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد يجوز أن يكون استعارة، وأن يكون مجازاً مرسلاً باعتبارين»(١) .

من أجل ذلك وجدت الإمام فخر الدين الرازى قد وجه فى اللفظ الواحد استعارة، ومجازاً مرسلاً باعتبار قصد العلاقة وملاحظتها فيهما ، فقد بين أن لفظ (الكلمة) يطلق مجازاً على الكلام الكثير، إما من إطلاق الجزء على الكل ، وإما على تشبيه ارتباط الكلام ، وتماسكه بارتباط حروف الكلمة الواحدة بعضها ببعض يقول فى هذا

---

(١) المطول / ٣٥٧ .

الشأن : «إن إطلاق لفظ الكلمة على المركب مجاز، وذلك لوجهين : الأول إن المركب إنما يتركب من المفردات ، فإطلاق لفظ الكلمة على الكلام يكون إطلاقاً لاسم الجزء على الكل والثانى : إن الكلام الكثير إذا ارتبط بعضه ببعض ، حصلت له وحدة، فصار شبيهاً بالمفرد فى تلك الوجوه، والمشابهة سبب من أسباب حسن المجاز، فأطلق لفظ الكلمة على الكلام الطويل لهذا السبب»[١].

وهذا صريح فى أن الكلمة الواحدة يمكن إجراء استعارة فيها إذا قصدت علاقة المشابهة بين المعني الحقيقى، والمعنى المجازى، ويمكن أن تكون مجازاً مرسلاً إذا قصد فيها علاقة الملابسة ، والارتباط بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى لأى سبب من الأسباب التى أشار إليها البلاغيون «فمدار الفرق بين المجاز المرسل والاستعارة على العلاقة الملحوظة»[٢].

وقد ظفرت ببعض كلمات فى لسان العرب ذكر صاحبه فى بعض المواضع مايفيد أنها مجاز مرسل، ثم صرح فى موضع آخر من لسانه بأنها استعارة، من هذه الكلمات كلمة (الأملوج) أى الغصن الناعم[٣] فقد ذكر فى أحد المواضع أنها أطلقت على السمن الذى ظهر على بكارة الإبل التى تقتات هذا الغصن، وترعاه؛ لأنه سبب هذا السمن، فقال «... البكر بالفتح الفتى من الإبل بمنزلة الغلام من الناس والأنثى بكرة ... وفى حديث طهفة وسقط الأملوج من

---

(١) التفسير الكبير١ /٢٣/١ وينظر المباحث البيانية فى تفسير الفخر الرازى/٢٠٩

(٢) حاشية الإنبابى على الرسالة البيانية ، للصبان / ١١١ .

(٣) لسان العرب ٤٢٥٤/٦ (ملج) .

البكارة[١] بالكسر جمع البكر بالفتح يريد أن السمن الذى علا بكارة الإبل بما رعت من هذا الشجر قد سقط عنها، فسماه باسم المرعى؛ إذ كان سبباً له»[٢] .

فكلامه في هذا الموضع صريح في أن إطلاق (الأملوج) الذى ترعاه بكارة الإبل على السمن الذى كساها، وبدا على أجسامها من إطلاق السبب على المسبب، أي أنه مجاز مرسل علاقته السببية، وذلك ظاهر من قوله (فسماه - أى السمن - باسم المرعى؛ إذ كان سبباً له) .

ولكنه ذكر في موضع آخر أن (الأملوج) مستعار للسمن، فقال: «... ومنه حديث طهفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه قوم يشكون القحط ، وفي نسخة وفد من اليمن ، فقال قائلهم : سقط الأملوج، ومات العسلوج[٣] ... والأملوج الغصن الناعم .. وفي رواية سقط الأملوج من البكارة هو جمع بكر، وهو الفتى السمين من الإبل ، أي سقط عنها ماعلاها من السمن برعى الأملوج، فسمى السمن نفسه أملوجاً على سبيل الاستعارة ، قال ابن الأثير قاله الزمخشري»[٤] .

---

(١) الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ١/ ١٤٩ .

(٢) لسان العرب ١/٣٣٤ (بكر) .

(٣) العسلوج مالان واخضر من قضبان الشجر .
ينظر المعجم الوجيز مادة (عسل) .

(٤) لسان العرب ٦/٤٢٥٤ (ملج) .
وينظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٤/٣٥٣

ونلحظ أن صاحب اللسان قد حرص على أن يضيف القول باستعارة الأملوج للسمن إلى الزمخشري اتباعاً لابن الأثير[١] .

مع أن المتأمل في كلام اللسان الذي أوردته آنفاً يجد أن المناسب أن تكون كلمة (الأملوج) مجازاً مرسلاً ، وليست استعارة، والكلمات التي سيقت في هذا الصدد خير شاهد على ذلك، فالسمن الذي علا بكارة الإبل، وجلل أجسامها، إنما كان (برعي الأملوج) وغني عن البيان أن الباء في قوله (برعي ....) للسببية، وفي ذلك ترشيح ، وتدعيم لكون (الأملوج) مجازاً مرسلاً، وليس استعارة.

ولايمكن - كما يبدو - تمحل شبه بين (الأملوج) والسمن؛ لأن السمن غطى جميع أجسامها ، فلا يتأتى تشبيهه بالأملوج أعني الغصن الناعم ولعل هذا هو السبب الذي جعل ابن الأثير ، وصاحب لسان العرب يحرصان على نسبة القول باستعارة (الأملوج) للسمن إلى الزمخشري - رحمه الله - ليضفيا عليها هالة من القوة والثبات؛ لأن الرجل ذائع الصيت ، جهير الصوت ، رفيع المنزلة في علم البيان .

وقد أغرمت بإنعام النظر في هذه المسألة ، وشغفت بتحرير القول فيها ، فتتبعت كلام كل من ابن الأثير ، والزمخشري تجاهها ، فوجدت ابن الأثير يقول فيها :« .... وفي رواية سقط الأملوج من البكارة هي جمع بكر، وهو الفتى السمين من الابل أي سقط عنها ماعلاها من السمن برعي الأملوج، فسمى السمن نفسه أملوجاً على

---

(١) ينظر المصدر نفسه والموضع .

سبيل الاستعارة قاله الزمخشري»[١] وهذه الكلمات التى جاءت فى كتاب ابن الأثير هى بقضها وقضيضها كلمات صاحب اللسان التى سبق ذكرها ، ومعلوم أن كتاب ابن الأثير أصل من الأصول التى يأخذ عنها صاحب اللسان .

ووجدت الزمخشرى يقول فيها[٢] «... وروى وسقط الأملوج من البكارة أى هزلت البكارة فسقط عنها ماعلاها من السمن برعى الأملوج، فسمى السمن نفسه أملوجاً على سبيل الاستعارة كقوله يصف غيثاً :

أقبل فى المستن من ربابه   أسنمة الآبال فى سحابه[٣]

فجعل استعارة (الأملوج) للسمن مناظرة، ومشاكلة للمجاز فى قول الشاعر (أسنمة الآبال فى سحابه) ومعلوم أن المجاز فى قول هذا الشاعر من قبيل المجاز المرسل؛ لأن (أسنمة الآبال..) مسببة عن الماء الذى ينزل من السحاب ، فهو مجاز مرسل علاقته المسببية[٤]

---

(١) نفسه ٣٥٣/٤ .

(٢) أرشدنى إلى مكان كلام الزمخشرى حول هذه الاستعارة محقق كتاب النهاية .. لابن الأثير، وإن كنت لم أعثر عليه فى الموضع الذى أشار إليه، لاختلاف طبعات الكتاب، وسيأتى ذكره عقب هذا الموضع مباشرة .

(٣) الفائق فى غريب الحديث، للزمخشرى ٢٧٩/٢ .
تحقيق على محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ط ثانية .

(٤) ينظر المفتاح/ ١٧٣ وبغية الإيضاح ٩٧/٣ .

وإذا كـان المـمثل به مـجـازاً مـرسـلاً، فـإن المـمثل أيضـاً يكون كـذلك، وبعبارة أخرى إذا كان المجاز فى (أسنمة الآبال) مرسلاً، فإن إطلاق (الأملوج) على السمن يكون مرسلاً كذلك .

وقـد أغنانا عن هذا القـيـاس ، وتلك المناظرة العـلامـة جـار الله الزمخشرى نفسه، فصرح فى أحد المواضع من الكشاف بأن المجاز فى قول الشاعر (أسنمة الآبال...) من إطلاق المسبب على السبب، فذكر عند تفسير قوله تعالى : «ياأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها...»[1] أن النكاح فى الآية - يقصد فى نكحتم - بمعنى العقد؛ لأن النكاح مسبب عن العقد، وشبه ذلك بقول الشاعر المتقدم، وتسمية الخمر إثما[2] فقال : «... وتسمية العقد نكاحاً لملابسته له من حيث إنه طريق إليه، ونظيره تسميتهم الخمر إثماً؛ لأنها سبب فى اقتراف الإثم، ونحوه فى علم البيان قول الراجز (أسنمة الآبال فى سحابه) سمى الماء بأسنمة الآبال؛ لأنه سبب سمن المال ، وارتفاع أسنمته... »[3] .

وفى هذا دليل واضح على أن مصطلح الاستعارة الذى ذكره فى قوله الذى سبق إيراده (.... فسمى السمن نفسه أملوجاً على سبيل الاستعارة ....) أريد به المجاز المرسل تحقيقاً لمعنى المناظرة ،

---

(١) الأحزاب / ٤٩ .

(٢) سبق فى علاقة السببية إيراد قول الشاعر :

شربت الإثم حتى ضل عقلى   كذاك الإثم يذهب بالعقول

(٣) الكشاف ٣/٢٤١ .

والمماثلة بين المجازين إطلاق (الأملوج) على السمن وإطلاق (أسنمة الآبال...) على الماء، وإن كانت العلاقة فى أولهما السببية وفى الثانى المسببية ويكون الزمخشرى قد تساهل فى إطلاق مصطلح الاستعارة على ماهو مجاز مرسل؛ لأنه كان «يتساهل فى استعمال المصطلحات العلمية التى حدد هو مدلولها»(١) .

ولعله يكون سائراً على نهج بعض العلماء الذين يجعلون (المجاز كله استعارة كأنك استعرت اللفظ من مستحقه الذى وضع له أولاً، ونقلته إلى ماتجوزت به عنه)(٢) .

ومن هذه الكلمات التى ذكر صاحب لسان العرب فى بعض المواضع مايفيد أنها مجاز مرسل، وذكر أيضاً أنها تكون استعارة كلمة (الفوهة) أى الفم، فقد ذكر أنها مجاز مرسل عن القالة أو الكلام فقال : «... وقولهم إن رد الفوهة لشديد أى القالة ، وهو من فهت بالكلام، ويقال هو يخاف فوهة الناس أى قالتهم ، والفوهة تقطيع المسلمين بعضهم بعضاً بالغيبة ، ويقال من ذا يطيق رد الفوهة»(٣) .

وقد ذكرت ذلك فى علاقة الآلية، وذكر صاحب اللسان فى حديثه حول هذه المادة نفسها(٤) مايدل على أن كلمة (الفوهة) قد

---

(١) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى ، للدكتور محمد أبو موسى/ ٤٣٢.

(٢) الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز ، لعز الدين بن عبد السلام / ٢٩ - ٣٠ .

(٣) لسان العرب ٥/٣٤٩٤/٣٤٩٥ (فوه) .

(٤) نفسه ٥/٣٤٩٤ (فوه) .

تستعار لفم النهر، أو رأس الوادي ، أو نحو ذلك؛ لأن الفم هو مدخل الأشياء إلى الجوف فقال « ... وفوهة السكة والطريق والوادى والنهر فمه، والجمع فوهات وفوائه .. وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج فلما تفوه البقيع قال السلام عليكم [١] يريد لما دخل فم البقيع، فشبهه بالفم؛ لأنه أول مايدخل إلى الجوف منه، ويقال لأول الزقاق ، والنهر فوهته بضم الفاء ، وتشديد الواو ، ويقال طلع علينا فوهة إبلك أي أولها بمنزلة فوهة الطريق ... » [٢] .

ويفهم من كلامه الذى تقدم أن الفوهة أى الفم قد استعيرت لأول السكة ، والطريق والوادى، والنهر ، وأول قطار الإبل على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية؛ لأنها - كما هو واضح - فى اسم جنس يصدق علي كثيرين [٣] ونلحظ أن فى الحديث النبوى الذى أورده استعارة تصريحية تبعية في قوله (تفوه البقيع .. يريد لما دخل البقيع فشبهه بالضم)فليس التشبيه فى (تفوه) من التشبيه الاصطلاحى، بل هو من التشبيه الذى بنيت عليه الاستعارة، وأمره أظهر من أن يخفى .

والمهم فيما نحن بسبيله أن كلمة (فوهة) استعملت مجازاً مرسلاً، واستعارة باعتبارين مختلفين على حسب العلاقة المنظور إليها .

---

(١) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٣/ ٤٨١.

(٢) لسان العرب ٥/٣٤٩٤ (فوه) .

(٣) ينظر بغية الإيضاح ٣/١٣٥ .

ومن هذه الكلمات أيضاً كلمة (خدمة) أي الخلخال ، فقد أشار إلى أنها استعملت مجازاً مرسلاً عن الساق من إطلاق الحال على المحل في قوله (... وقد تسمى الساق خدمة حملاً على الخلخال؛ لكونها موضعه) [١] وقد سبق ذكره في علاقة (الحالية) .

وذكر في الموضع نفسه أن كلمة (الخدمة) تستعار لاجتماع القوم ، واتحادهم وقوة تماسكهم ، فقد قال : « ... وقد تسمى حلقة القوم خدمة، وفي حديث خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس الحمد لله الذي فض خدمتكم قال - أي ابن سيده - فض الله خدمتهم أي فرق جماعتهم .. فضرب ذلك مثلاً لذهاب ما كانوا عليه ، وتفرقه، وشبه اجتماع أمر العجم، واتساقه بالحلقة المستديرة؛ فلهذا قال فض الله خدمتكم أي فرقها بعد اجتماعها.... »[٢] .

فكلمة (خدمة) في كلامه السالف الذكر مستعارة لاجتماع العجم، وترابطهم وإن لم تذكر فيه كلمة استعارة ، أو ما اشتق منها ، لكنها معلومة من قوله (وشبه اجماع أمر العجم، واتساقه بالحلقة المستديرة) لأن الكلام ليس فيه تشبيه اصطلاحي ، وإنما فيه تشبيه قامت عليه الاستعارة .

وقد عد أبو هلال العسكري كلمة (خدمة) في قول خالد بن الوليد - رضي الله عنه - استعارة ضمن استعارات كثيرة ذكرها عندما قال : «ومما في كلام النبي - صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) لسان العرب ١١١٥/٢ (خدم) .

(٢) لسان العرب ١١١٦/٢ (خدم) .

والصحابة - رضى الله عنهم - ونثر الأعراب، وفصول الكتاب من الاستعارة قوله صلى الله عليه وسلم .... (كلما سمع هيعة طار إليها)... وكتب خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى مرازبة فارس الحمد لله الذى فض خدمتكم وفرق كلمتكم...»(١)

فنجد أن كلمة (خدمة) قد استعملت مجازاً مرسلاً، واستعارة باعتبارين مختلفين .

ومن الكلمات التى أُجرى فيها مجاز مرسل ، واستعارة أيضاً كلمة (القول) أو ماأشتق منها ، فقد ذكر صاحب لسان العرب أنها تكون مجازاً مرسلاً عن الاعتقادات والآراء ، فقال : «القول الكلام .. وهو عند المحقق كل لفظ قال به اللسان ... فأما تجوزهم فى تسميتهم الاعتقادات ، والآراء قولاً، فلأن الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلا بالقول ، أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال ، فلما كانت لاتظهر إلا بالقول، سميت قولاً، إذ كانت سبباً له، وكان القول دليلاً عليها ، كما يسمى الشئ باسم غيره إذا كان ملابساً له، وكان القول دليلاً عليه»(٢) .

فإطلاق القول على الاعتقادات ، والآراء مجاز مرسل من إطلاق المسبب على السبب، وقد سبق ذكر ذلك المجاز فى علاقة المسببية .

---

(١) الصناعتين / ٣٠٥ - ٣٠٧ .

(٢) لسان العرب ٣٧٧٧/٥ (قول) .

وأشار في الموضع نفسه إلى أن القول يستعمل مجازاً في غير نطق الإنسان حين قال : «وقد يستعمل القول في غير الإنسان قال أبو النجم :

قالت له الطير تقدم راشداً ∴ إنك لاترجع إلا حامداً

وقال آخر :

فقالت له العينان سمعاً وطاعة ∴ وحدرتا كالدر لما يثقب

... وإذا جاز أن يسمى الرأى، والاعتقاد قولاً، وإن لم يكن صوتًا، كان تسميتهم ماهو أصوات قولاً أجدر بالجواز .... »[١].

ومفهوم من كلامه الآنف الذكر أن القول حين يستعمل في غير الإنسان يكون من قبيل الاستعارة؛ لأنه ينبئ عن المقصود بشواهد الحال، وقرائن السياق كما يترجم الإنسان عن مراده بالكلمات الدالة. والعبارات المنطوقة. فقول الطير، أو قول العينين ليس على سبيل الحقيقة، مثل قول الإنسان، بل هو مستعار للدلالة الموحية المعبرة عن المطلوب .

واستعارة القول لغير النطق باللسان مجاز مشهور عند البيانيين وأرباب الفصاحة والذلاقة حتى جعله بعضهم مستعارا في بعض أي الذكر الحكيم لدلالة الحال، وشهادة المقام، فقد ذكر الإمام فخر الدين الرازي عند تفسير قوله تعالى : «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ...»[٢] أن (قالوا ...) في بعض المواضع لايراد به القول باللسان فقال : «... ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من

---

(١) المصدر نفسه والموضع .

(٢) الأعراف / ١٧٢ .

دلائل وحدانيته، وعجائب خلقه، وغرائب صنعه، فبالأشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى . وإن لم يكن هناك قول باللسان، ولذلك نظائر منها قوله تعالى «فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) (١).

ومنه قوله تعالى (إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (٢) . وقول العرب قال الجدار للوتد لم تشقنى ؟ قال سل من يدقنى ... فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور فى الكلام فوجب حمل الكلام عليه ... » (٣) .

وبناء على ماسبق بيانه يظهر لنا بجلاء ووضوح أن ماذكره صاحب لسان العرب من أن الكلمة الواحدة يمكن اعتبارها مجازاً مرسلاً، أو استعارة بحسب العلاقة الملحوظة فيهما جار على سنن البيانيين ، وسائر على نهجهم، وإن تساهل فى بعض الأحيان فساير بعض البيانيين فى إطلاقهم مصطلح الاستعارة على ماهو من قبيل المجاز المرسل ، وقد تبدى ذلك فى موافقته على جعل (الأملوج) مستعاراً لسمن بكارة الإبل ، وقد ذكرت ذلك قريباً .

---

(١) فصلت / ١١ .

(٢) النحل / ٤٠ .

(٣) التفسير الكبير ١/٥٣ - ٥٤ .

وينظر تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضى عبد الجبار / ٣٧٠ والمباحث البيانية فى تفسيرالفخر الرازى / ٢٤٧ - ٢٤٨ .

الفصل الخامس

بين المجاز المرسل والكناية فى لسان العرب

الفصل الخامس
بين المجاز المرسل والكناية فى لسان العرب

يظهر من صنيع صاحب لسان العرب أنه يرى أن اللفظ الواحد يمكن أن يكون مجازاً مرسلاً وكناية باعتبارين .

وقد تبدت لى هذه الرؤية من خلال تناوله لبعض كلمات معينة، فقد أورد فى بعض المواضع مايفيد أن كلمة (لسان) تطلق على الكلام واللغة، فنقل عن ابن سيده أن (لسان صدق) فى قوله تعالى «واجعل لى لسان صدق فى الآخرين»[١] معناه اجعل لى ثناء حسناً باقياً إلى آخر الدهر[٢] .

وفسر (لسان قومه) فى قوله تعالى «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه»[٣] بلغة قومه[٤] .

فليس المقصود من كلمة (لسان) العضو المعروف، وإنما المقصود منه اللغة، أو الكلام، ومعلوم عند البلاغيين أن إطلاق اللسان على الكلام مجاز مرسل علاقته الآلية، وهو أشهر مثال لتلك العلاقة يتردد ذكره فى كتب البلاغة .

---

(١) الشعراء / ٨٤ .

(٢) لسان العرب ٥/ ٤٠٣٠ (لسن) .

(٣) إبراهيم / ٤ .

(٤) ينظر لسان العرب ٥/ ٤٠٣٠ (لسن) .

ولكنه ذكر فى موضع آخر أن اللسان كناية عن الكلام فقال : «وقطع لسانه أسكته بإحسانه إليه، وانقطع لسانه ذهبت سلاطته، وامرأة قطيع اللسان إذا لم تكن سليطة، وفى الحديث أنه قال لما أنشده العباسى ابن مرداس أبياته العينية اقطعوا عنى لسانه أى أعطوه وأرضوه حتى يسكت[1] فكنى باللسان عن الكلام، ومنه الحديث أتاه رجل فقال إنى شاعر فقال يابلال اقطع لسانه فأعطاه أربعين درهماً»[2] . فقوله (فكنى باللسان عن الكلام) صريح فى أنه جعل (اللسان) كناية عن الكلام، وقد رأينا أنه جعله فى الموضع الذى سلف ذكره مجازاً مرسلاً .

وهذا يعطينا دليلاً واضحاً على أن اللفظ الواحد عنده يمكن أن يكون مجازاً مرسلاً ويمكن أن يكون كناية .

ومما هو بسبب من حديث قطع لسان هذا الشاعر ، وإعطائه مايرضيه ، واستلال سخيمة قلبه أننى وجدت فى بعض المراجع أن الذى أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بقطع لسان العباس على بن أبى طالب، وليس بلالا كما جاء فى الحديث الذى أخذه صاحب لسان العرب عن ابن الأثير ، وقد سبق ذكره آنفاً، فقد رووا أن العباس بن مرداس أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أتجعل نهبى ونهب العبيد ... بين عيينة والأقرع

وماكان حصن ولاحابس ... يفوقان مرداس فى مجمع

وماأنا دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لايرفع

---

(١) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٤/ ٨٣ .

(٢) لسان العرب ٥/٣٦٧٦ (قطع) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلى اقطع لسانه عنى، فقبض على عليه السلام على يده، وخرج به فقال أقاطع أنت لسانى ياأبا الحسن؟ فقال إنى لممض فيك ما أمر ... ثم مضى به إلى إبل الصدقة فقال خذ ما أحببت ، أو كما قال[١] .

وسواء كان المأمور هو علياً، أو بلالاً - رضى الله عنهما - فإن الذى تتوخاه هذه السطور ، وتتحراه هو جعل صاحب لسان العرب (لسانه) فى قوله صلى الله عليه وسلم (اقطعوا عنى لسانه) كناية عن الكلام بعد أن اعتبره فى موضع آخر مجازاً مرسلاً عن الكلام .

ومن هذه الكلمات التى ألمع إلي أنها مجاز مرسل، وصرح بأنها كناية كلمة (الرقبة) فقد ذكر فى بعض المواضع أنها تطلق على ذات الإنسان كلها تسمية للشئ باسم جزئه فقال : «... والرقبة العنق، وقيل أعلاها .. والرقبة المملوك وأعتق رقبة أى نسمة ، وفك رقبة أطلق أسيراً سميت الجملة باسم العضو لشرفها . التهذيب وقوله تعالى فى آية الصدقات (والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب)[٢] قال أهل التفسير فى الرقاب إنهم المكاتبون ولايبتدأ منه مملوك فيعتق، وفى حديث قسم الصدقات (وفى الرقاب) يريد المكاتبين من العبيد يعطون نصيباً من الزكاة يفكون بها رقابهم ، ويدفعونه إلى مواليهم»[٣].

---

(١) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبى الإصبع / ٢٥١ .
تحقيق الدكتور حفنى محمد شرف ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٨٣ هـ .

(٢) التوبة / ٦٠ .

(٣) لسان العرب ١٧٠١/٣ (رقب) .

فقوله بعد أن ذكر أن الرقبة أطلقت على النسمة، وعلى الأسير (سميت الجملة - أى جملة الإنسان - باسم العضو لشرفها) أى لشرف الرقبة على سائر أجزاء الجسم، يومئ إلى أن إطلاق الرقبة على ذات الإنسان مجاز مرسل علاقته الجزئية .

ولكنه أورد فى الموضع نفسه عن ابن الأثير أن اطلاق العنق على ذات الإنسان كناية، ومعلوم أن الرقبة والعنق شئ واحد(١) يقول فى ذلك : « .... وفى الحديث كأنما أعتق رقبة قال ابن الأثير وقد تكررت الأحاديث فى ذكر الرقبة وعتقها وتحريرها وفكها ، وهى فى الأصل العنق فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان، وتسمية للشئ ببعضه، فإذا قال أعتق رقبة فكأنه قال أعتق عبداً أو أمة ، ومنه قولهم دينه فى رقبته ... وفى حديث بلال والركائب المناخة لك رقابهن وماعليهن أى ذواتهن وأحمالهن... »(٢) .

فنجده قد ارتضى قول ابن الأثير ، واحتذى حذوه فى جعل الرقبة أو العنق كناية عن جميع ذات الإنسان ، أو ذات الحيوان كما فى جعل رقاب الركائب كناية عن ذواتهن، وإن كان من الملحوظ أن ثمة تداخلاً فيما قاله بين الكناية والمجاز المرسل فى قوله (... وهى فى الأصل العنق فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان، وتسمية للشئ ببعضه) .

---

(١) ينظر لسان العرب ١٧٠١/٣ (رقب) .

(٢) المصدر نفسه والموضع .

فصدر العبارة ناطق بأن العنق كناية عن ذات الإنسان، وعجزها ناطق بأنها مجاز مرسل عن الإنسان ، وهذا يعتبر دعماً ومساندة لكونه يجعل اللفظ الواحد مجازاً مرسلاً ، وكناية .

ومن الكلمات التى بدا أن فى تناوله لها تداخلاً بين المجاز المرسل، والكناية أيضاً كلمة (قحف) فقد جعلها كناية عن الرأس كله، أو مجازاً مرسلاً عنه .. عندما قال : «القحف العظم الذى فوق الدماغ من الجمجمة، والجمجمة التى فيها الدماغ، ومنه حديث[1] أبى هريرة فى يوم اليرموك فما رئى موطن أكثر قحفاً ساقطاً أى رأساً فكنى عنه ببعضه أو أراد القحف نفسه....»[2] .

فنرى فى قوله (فكنى عنه ببعضه) تداخلاً، أو إن شئنا الدقة دمجاً بين الكناية والمجاز المرسل ، فإن قوله فكنى عنه) صريح فى أن لفظ (قحف) كناية عن الرأس، وقوله (ببعضه) يشير إلى أنه مجاز مرسل علاقته الجزئية عن الرأس نفسه .

ومن الكلمات التى أشار صاحب اللسان إلى أنها يمكن أن تكون مجازاً مرسلاً وكناية أيضاً كلمة) (عذرة)[3] وهى سلح الإنسان وغائطه ، فقد قال فى أحد المواضع : «والعاذر والعذرة الغائط الذى هو السلح ، وفى حديث ابن عمر أنه كره السلت الذى يزرع بالعذرة[4] يريد الغائط الذى يلقيه الإنسان ، والعذرة فناء

(١) يبدو أن الحديث هنا بمعناه اللغوى .

(٢) لسان العرب ٣٥٣٧/٥ (قحف) .

(٣) أعتذر عن ذكر مثل هذه الألفاظ ، ولعله يشفع لى أن هذه لغة العرب التى وسعت حياتهم، وعبرت عن حاجاتهم .

(٤) ينظر كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ١٩٩/٣ .

الدار، وفى حديث على أنه عاتب قوماً فقال مالكم لاتنظفون عذراتكم[(١)] أي أفنيتكم .. قال أبو عبيد وإنما سميت عذرات الناس بهذا، لأنها كانت تلقى بالأفنية ، فكنى عنها باسم الفناء، كما كنى بالغائط وهى الأرض المطمئنة عنها .... »[(٢)] واضح من هذا الكلام الذى ذكره أن العذرة فى الأصل فناء الدار ، وسميت عذرات الناس بهذا الاسم؛ لأنها كانت تلقى بالأفنية ، وغنى عن البيان أن دور العرب، وأفنيتهم كانت رحبة واسعة لاتضيق بحاجاتهم، وضروريات حياتهم .

وبناء على ذلك تكون كلمة (عذرة) أو (عذرات) مجازاً مرسلاً علاقته المحلية أطلق فيه المحل على الحال فيه .

وفى الوقت نفسه نجد أن عبارة أبى عبيد التى أوردها صاحب اللسان فى عجز كلامه الذى سبق ذكره تتضمن أن العذرة أى فناء الدار كناية عن غائط الإنسان الذى يلقيه فى هذا المكان، ويتجلى ذلك فى قوله (.... فكنى عنها باسم الفناء كما كنى بالغائط وهى الأرض المطمئنة عنها) أى العذرة .

وفى علاقة المحلية كذلك أورد صاحب لسان العرب عدة أقوال فى معنى الثياب من قوله تعالى (وثيابك فطهر)[(٣)] منها أنها النفس فقال : «... والعرب تكنى بالثياب عن النفس وقال :

---

(١) المصدر نفسه والموضع .

(٢) لسان العرب ٤/ ٢٨٦٠ (عذر) .

(٣) المدثر / ٤ .

فسلى ثيابى عن ثيابك تنسل [١]

وفلان دنس الثياب إذا كان خبيث الفعل والمذهب ، خبيث العرض قال امرؤ القيس :

ثيابى بنى عوف طهارى نقية وأوجههم بيض المسافر غران[٢].

وقال (الشماخ) [٣] .

رموها بأثواب خفاف ولاترى لها شبهاً إلا النعام المنفرا

رموها يعنى الركاب بأبدانهم، ومثله قول الراعى :

فقام إليها حبتر بسلاحه ولله ثوباً حبتر أيما فتى

يريد ما اشتمل عليه ثوب حبتر من بدنه» [٤] .

---

(١) هذا عجز بيت لامرئ القيس وصدره : وإن تك قد ساءتك منى خليقة.. ورواية المعلقات التى شرحها الزوزنى (ثيابى من ثيابك) باستبدال الحرف (من) بالحرف (عن) ينظر المعلقات السبع شرح الزوزنى/١٤ .

(٢) فى هامش لسان العرب ذكر أحد محققيه أن البيت فى ديوانه :
وأوجههم عند المشاهد غران ٥١٩/١ (ثوب) .
وذكر صاحب اللسان نفسه فى موضع آخر عن ابن برى أن المشهور فى بيت امرئ القيس .. وأوجههم عند المشاهد غران .
أى إذا اجتمعوا لغرم حمالة أو لإدارة حرب وجدت وجوههم مستبشرة غير منكرة... ٣٢٣٤/٥ (غرر) .

(٣) نسب محققو لسان العرب هذا البيت إلى الشماخ ، وذكر ابن قتيبة أن البيت لليلى الأخيلية / ١٤٢ تأويل مشكل القرآن .
وأيد محقق كتاب ابن قتيبة أن البيت لها .
ينظر هامش تأويل مشكل القرآن / ١٤٢ تحقيق السيد أحمد صقر.

(٤) لسان العرب ٥١٩/١ (ثوب) .

فقد صرح فى حديثه المتقدم بأن الثياب كناية عن النفس، ويلوح شرحه لكلمة الثياب أو نحوها فى بعض الشواهد التى ساقها إلى أن الثياب مجاز مرسل عن ذات الإنسان وبدنه، فقد فسر قول ليلى الأخيلية (رموها بأثواب) بأنهم رموها بأبدانهم، وغير خاف أن الأثواب محل لهذه الأبدان، وكذلك فسر قول الراعى (ولله ثوبا حبتر) بما اشتمل عليه هذان الثوبان من بدنه، فهما محل لذلك البدن ، وبدنه حال فيها وهذا ظاهر فى علاقة المحلية .

وهكذا نجد أن المجاز المرسل والكناية يمكن أن يتوا، ' على لفظ واحد، وإن كان ذلك يبدو فى بادئ النظر تناقضاً ظاهراً؛ لأن المجاز قرينته مانعة من إرادة المعنى الحقيقى، والكناية قرينتها مجوزة لإرادة ذلك المعنى[١] .

وقبل أن أعرض لإزالة هذا التناقض الظاهر عن هذا الاستعمال أشير إلى أن إطلاق مصطلح الكناية، والمجاز المرسل على اللفظ الواحد أمر لم ينفرد به اللغويون الذين سطر كلامهم صاحب لسان العرب، وذكرت طرفاً منه آنفاً، بل شاركهم فى هذا الإطلاق أرباب البيان، وجهابذة البلاغة - فمثلاً - صاحب الكشاف وهو علم من أعلامهم يشار إليه بالبنان يذكر صوراً من المجاز المرسل، ويسميها كناية، فقد قال فى قوله تعالى «وثيابك فطهر»[٢] .

---

(١) ينظر - مثلاً - بغية الإيضاح ١٧٢/٣ .

(٢) المدثر / ٤ .

«وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ، ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب ، وطاهر الجيب والذيل والأردان ، إذا وصفوه بالنقاء من المعايب، ومدانس الأخلاق ، وفلان دنس الثياب للغادر ، وذلك لأن الثوب يلابس الإنسان، ويشتمل عليه فكنى به عنه»[١] . وقد عقب الدكتور محمد أبو موسى على ذلك بقوله :

«فالتعبير عن الإنسان بثوبه من المجاز المرسل الذى علاقته المجاورة، أو ا ''ية، ولكن الزمخشرى يجعله من الكناية .. ويمكن أن يكون المثال الواحد كناية لغوية باعتبار، ومجازاً مرسلاً باعتبار آخر...»[٢] .

والكناية اللغوية هى المفردة التى يعبر فيها عن المكنى عنه بلفظ واحد مثل كلمة (نعجة) فى قوله تعالي «إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة»[٣] فإن هذه الكلمة فى الموضعين كناية عن المرأة[٤].

وقد رأينا فيما تقدم ذكره أن جميع الكنايات التى أشار صاحب لسان العرب إلى أنها تكون مجازاً مرسلاً أيضاً هى كنايات لغوية مفردة .

---

(١) الكشاف ١٥٦/٤ .

(٢) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى / ٤٦٧ .

(٣) ص/ ٢٣ .

(٤) الطراز للعلوى ٤٢٧/١ .

وقد وجدت الإمام فخر الدين الرازى ، وهو من البيانيين الذين لهم جهد يذكر فى البيان العربى يذكر فى تفسيره الكبير كثيراً من هذه الكنايات المفردة، ثم يذكر فى مواطن أخرى من ذلك التفسير مايفيد أنها مجاز مرسل(١) .

ولابأس أن أورد نموذجاً واحداً دليلاً على ذلك، فقد ذكر فى قوله تعالى «... قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين»(٢) .

ان الاشتغال بالاستهزاء لايكون إلا بسبب الجهل ، ومنصب النبوة لايحتمل الإقدام على الاستهزاء، فلم يستعذ موسى عليه السلام من نفس الشئ الذى نسبوه ولكنه استعاذ من السبب الموجب له كما قد يقول الرجل عند مثل ذلك أعوذ بالله من عدم العقل، وغلبة الهوى والحاصل أنه أطلق اسم السبب على المسبب مجازاً(٣) .

فجعل إطلاق الجهل على الاستهزاء مجازاً مرسلاً، لكنه عند تفسير قوله تعالى مخاطباً نبيه نوحاً عليه السلام «إنى أعظك أن تكون من الجاهلين»(٤) جعل الجهل كناية عن الذنب فقال : «جعل الجهل كناية عن الذنب مشهور فى القرآن قال تعالى (يعملون السوء بجهالة)(٥) وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)»(٦) .

---

(١) ينظر المباحث البيانية فى تفسير الفخر الرازى رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة / ٣٢٣ - ٣٢٦ .

(٢) البقرة /٦٧.

(٣) التفسيرالكبير ٢٠/ ١٢٦ .

(٤) هود / ٤٦ .

(٥) النساء / ١٧ .

(٦) التفسير الكبير ٩ ٢/ ٤ - ٥ .

وهنا نأتى إلى إزالة مايبدو من تناقض ظاهر يتمثل فى إطلاق مصطلح المجاز المرسل والكناية على لفظ واحد ، مع أن قرينة المجاز مانعة، وقرينة الكناية غير مانعة، وقد تصدى لهذه المهمة بجدارة واقتدار ابن يعقوب المغربى - رحمه الله - فبين أن اللفظ الواحد لايكون مجازاً مرسلاً ، وكناية فى آن واحد ، ونظرة متساوقة ، وإنما يتأتى ذلك إذا تباينت النظرة إليهما ، وانفكت جهة الإطلالة عليهما، واختلفت الحيثية المعتبرة فيهما ، فكلمة النبات - - مثلاً - تكون مجازاً مرسلاً عن الغيث من حيث التلازم بينهما، وتكون كناية عنه من حيث كون النبات رديفاً للغيث، وتابعاً له فى الوجود [1] .

وبناء على تلك النظرة ينقشع عن هذا الاستعمال مايبدو من تعارض فى بادئ الرأى ، ويمكننا أن نقول - مثلاً - إن لفظ (اللسان) يكون مجازاً مرسلاً عن الكلام لما بينهما من تلازم الآلية ، ومايصدر عنها ، ويكون كناية عن الكلام ؛ لأنه تابع له، وأثر من آثاره .

---

(١) ينظر مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح ٢٤٦/٤ - ٢٤٧ شروح التلخيص .

خاتمة

(وبعد) فقد تتبع هذا العمل بعون الله تعالى - تطور حقيقة المجاز المرسل، وكنهه عند كوكبة من جلة البيانيين، وقد تبين أن حقيقته ظلت غائمة، مختلطة بالاستعارة حتى فيصل الشيخ عبد القاهر الجرجاني بينهما، فجعله متصوراً على ماكان النقل فيه مبنياً على أساس الملابسة، والتعلق بين المنقول عنه، والمنقول إليه، وجعل الاستعارة مقصورة على مانقله من أجل التشبيه للمبالغة .

وقد بدا أن (أبا يعقوب السكاكي) هو الذى أطلق عليه مصطلح (المجاز المرسل) ولعله قد استلهم كلمة (مرسل) من بيان الشيخ عبد القاهر، فقد ترددت خلال كلامه بمعنى عدم التقييد ، أو الخلو من دعوى الاتحاد الموجودة فى الاستعارة .

وقد أضاف هذا العمل - بفضل الله - من خلال ماذكره (لسان العرب) كثيراً من الشواهد الجديدة المتنوعة التى لم تعهدها كتب البلاغة المشتهرة .

ولم يكن همه، ووكده رصد هذه الشواهد، وسردها فحسب، بل غنى كثيراً بالوقوف عندها ، والموازنة بين كلام اللغويين، والبيانيين، واختيار مايتسق مع الثوابت البيانية، وقد وصل الأمر - أحياناً - إلى مناقشة صاحب (لسان العرب) فى بعض تعبيرات بلاغية غير سديدة مثل قوله وهو بصدد الحديث عن إطلاق لفظ الصلاة على سورة الفاتحة (أراد بالصلاة ههنا القراءة تسمية للشئ ببعضه) .

ولاأزعم أن هذا العمل قد بلغ حد الكمال، أو برئ من العيب ، وخلا من الهنات .. ويكفى أننى بذلت فيه قصارى الجهد، وتوخيت الصواب، والسداد «ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين» .

وصلى الله على سيدنامحمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مصادر البحث ومراجعه

١- أساس البلاغة - الزمخشرى .

٢- أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجانى تعليق الشيخ محمد رشيد رضا-مكتبة القاهرة-الطبعة السادسة ١٣٧٩هـ.

٣- الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز - العز بن عبد السلام المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

٤- الأطول - للعصام- طبعة الآستانة ١٢٨٤هـ .

٥- الأعلام - خير الدين الزركلى - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الرابعة ١٩٧٩م.

٦- بغية الإيضاح - الشيخ عبد المتعال الصعيدى الجزء الثالث المطبعة النموذجية ١٩٧٣م.

٧- البلاغة تطور وتاريخ - دكتور شوقى ضيف - دار المعارف ١٩٦٥م.

٨- بلاغة القرآن فى آثار القاضى عبد الجبار دكتور عبد الفتاح لاشين - دار الفكر العربى .

٩- البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى دكتور محمد أبو موسى دار الفكر العربى.

١٠- البرهان فى علوم القرآن - الزركشى - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار التراث - القاهرة.

١١- بغية الوعاة - السيوطى - تحقيق محمد أبو الفضل - بيروت -لبنان.
١٢- تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - دار إحياء التراث العربى - بيروت.
١٣- تفسير البيضاوى المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل مكتبة الجمهورية العربية الصنادقية بالأزهر.
١٤- تحرير التحبير - ابن أبى الإصبع - تحقيق الدكتور حفنى محمد شرف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٣٨٣هـ .
١٥- تفسير القرطبى ط الشعب - القاهرة.
١٦- تنزيه القرآن عن المطاعن - القاضى عبد الجبار - دار النهضة الحديثة- بيروت - لبنان.
١٧- تفسير الكشاف - الزمخشرى - دار المعرفة - بيروت .
١٨- التفسير الكبير - فخر الدين الرازى - دار الفكر - بيروت ط ثالثة ١٤٠٥هـ.
١٩- تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة - نشره وشرحه السيد أحمد صقر- ط ثانية ١٩٧٣م - دار التراث القاهرة.
٢٠- تلخبص المفتاح - الخطيب القزوينى - مطبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البنابى الحلبى.
٢١- حاشية الإنبابى على الرسالة البيانية للصبان - المطبعة الأميرية ط أولى ١٣١٥هـ.

٢٢- حاشية الخضرى على شرح الملوى على السمرقندية- المطبعة الأزهرية - ط أولى ١٣٢٨هـ.
٢٣- حاشية الدسوقى على مختصر السعد-ضمن شروح التلخيص.
٢٤- حاشية السيد الشريف على المطول- على هامش المطول - مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.
٢٥- الحقيقة والمجاز فى القرآن الكريم- دكتور على محمد حسن ط أولى ١٩٧٤ مطبعة السعادة.
٢٦- الخصائص- ابن جنى - تحقيق محمد على النجار- دار الهدى للطباعة والنشر - ط ثانية- بيروت - لبنان.
٢٧- ديوان الراعى النميرى - تحقيق راينهرت - ڤايبرت - بيروت ١٤٠١هـ ، دار النشر - فرانش.
٢٨- ديوان الفرزدق - دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ .
٢٩- الرسالة البيانية للصبان-المطبعة الأميرية- ط أولى ١٣١٥هـ.
٣٠- سنن أبى داود - دار إحياء السنة النبوية - مراجعة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .
٣١- شعر النابغة الجعدى - منشورات المكتب الإسلامى بدمشق - ط أولى ١٩٦٤م.
٣٢- شرح المعلقات السبع - الزوزنى - المطبعة التجارية الكبرى - القاهرة ١٣٨٠هـ.
٣٣- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - ابن العماد الحنبلى - دار إحياء التراث - بيروت.
٣٤- صحيح مسلم - شرح النووى ط الشعب.

٣٥- صور من تطور البيان العربى دكتور كامل الخولى ط أولى ١٩٦٢م دار الأنوار للطباعة والنشر .

٣٦- الصناعتين - أبو هلال العسكرى - دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٩٨١م.

٣٧- عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح - بهاء الدين السبكى - شروح التلخيص.

٣٨- غريب الحديث - ابن الجوزى - تعليق الدكتور عبد المعطى أمين القلعجى - دار الكتب العلمية - ط أولى - بيروت لبنان ١٤٠٥هـ.

٣٩- فتح البارى بشرح صحيح البخارى - لابن حجر العسقلانى دار الريان للتراث ط أولى ١٤٠٧هـ.

٤٠- الفائق فى غريب الحديث - الزمخشرى - تحقيق على محمد البجاوى وآخر- مطبعة عيسى البابى الحلبى ط ثانية.

٤١- الفروق فى اللغة- أبو هلال العسكرى - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت ط خامسة ١٩٨١م.

٤٢- لسان العرب - ابن منظور ط دار المعارف .

٤٣- المباحث البيانية فى تفسير الفخر الرازى - رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة- إعداد أحمد هنداوى هلال.

٤٤- المثل السائر - ابن الأثير- تحقيق دكتور أحمد الحوفى وآخر- دار نهضة مصر - ط ثانية.

٤٥- المختصر - سعد الدين التفتازانى - شروح التلخيص .
٤٦- مسند الإمام أحمد - مكتبة التراث الإسلامى - شرح أحمد محمد شاكر.
٤٧- مجمع الأمثال - الميدانى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥م.
٤٨- مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف - الشيخ محمد عليان المرزوقى مع الكشاف الجزء الرابع - دار المعرفة - بيروت.
٤٩- مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح- ابن يعقوب المغربى- ضمن شروح التلخيص .
٥٠- مجاز القرآن - أبو عبيدة - تعليق دكتور محمد فؤاد سزكين مكتبة الخانجى - القاهرة.
٥١- معانى القرآن- الفراء - عالم الكتب - بيروت ط ثانية ١٩٨٠م.
٥٢- المعجم الوجيز - إصدار مجمع اللغة العربية- القاهرة .
٥٣- معجم المؤلفين - تأليف عمر كحالة - مكتبة المثنى - لبنان.
٥٤- المنهاج الواضح فى البلاغة - الأستاذ حامد عونى - دار الكتاب العربى - ط أولى ١٣٧٧هـ.
٥٥- الموازنة - الآمدى- تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف ط رابعة.
٥٦- المطول - سعد الدين التفتازانى - مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.

٥٧- المفتاح - السكاكى - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - ط أولى ١٩٣٧م.
٥٨- ابن منظور وأثره فى الدراسات اللغوية- دكتور محمد متولى منصور - رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية - بالقاهرة.
٥٩- النهاية فى غريب الحديث والأثر - ابن الأثير تحقيق طاهر أحمد الزاوى وآخر- المكتبة العلمية بيروت - لبنان.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١
تمهيد	٥
(الفصل الأول تطور حقيقة المجاز المرسل)	٩-٤٠
المجاز المرسل عند أبى عبيدة	١١
المجاز المرسل عند ابن قتيبة	١٤
المجاز المرسل عند أبى هلال العسكرى	١٧
المجاز المرسل عند القاضى عبد الجبار	١٩
المجاز المرسل عند الشيخ عبد القاهر الجرجانى	٢٣
المجاز المرسل عند الزمخشرى	٢٨
المجاز المرسل عند الإمام فخر الدين الرازى	٣١
المجاز المرسل عند السكاكى	٣٢
المجاز المرسل عند الخطيب القزوينى	٣٨
(الفصل الثانى علاقات المجاز المرسل في لسان العرب)	٤١-١٣١
السببية	٤٢
المسببية	٦٦
الآلية	٧٤

تابع الفهرس

الموضوع	الصفحة
المجاورة	٧٨
اعتبار ماكان	٩٢
اعتبار مايئول إليه	٩٧
الكلية	١٠٦
الجزئية	١٠٩
المحلية	١٢٤
الحالية	١٢٧
(الفصل الثالث المجاز عن المجاز)	١٣٣-١٣٩
(الفصل الرابع بين المجاز المرسل والاستعارة في لسان العرب)	١٤١-١٥٤
(الفصل الخامس بين المجاز المرسل والكناية في لسان العرب)	١٥٥-١٦٧
خاتمة	١٦٩-١٧٠
مصادر البحث ومراجعة	١٧١-١٧٦

رقم الايداع ٩٤/١٠٢٥٩
الترقيم الدولى I.S.B.N
977-00-7916-2

الترکی
للكمبيوتر وطباعة الأوفست - طنطا

المجاز المرسل في لسان العرب
لابن منظور

دراسة بلاغية تحليلية

تأليف
الدكتور/ أحمد هنداوي عبد الغفار هلال

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

المجاز المرسل فى لسان العرب
لابن منظور

دراسة بلاغية تحليلية

تأليف
الدكتور/ أحمد هنداوى عبد الغفار هلال

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م